

الفصل الثالث

الإسلام في أوروبا الوسطى

الإسلام والثقافة العربية في إيطاليا

لم يكن استيلاء العرب والمسلمين على جزيرة كريت وصقلية وغيرها من جزر البحر الأبيض المتوسط إلا مرحلة من مراحل الغزو الإسلامي ، تليها مرحلة أخرى لغزو القارة الأوروبية من الوسط ومن ثم فقد أنتجت أنظارهم إلى غزو إيطاليا بعد أن استقرت أوضاعهم في كريت وصقلية وكانت ضرورة أطواء هذه الأرض تحت الراية الإسلامية بعد أن طويت الأندلس وجنوب فرنسا وسويسر تحت رآيه التوحيد .

وقد أطلق المسلمون على إيطاليا الأرض الكبيرة وقال البلاذري عنها بالمغرب أرض تعرف بالأرض الكبيرة وييئها وبين برقة خمسة عشر يوماً أو أقل من ذلك وأكثر قليلاً وبها مدينة على شاطئ البحر تدعى بارة وكان أهلها نصارى وليس بروم وهي أرض تقابل صقلية ومدينة بارة التي ذكرها البلاذري هي قاعدة مقاطعة اسمها بارة وهي على بحر الأدرياتيک والإيطاليين يقولون لها بارى .

الإسلام وجهاد بنى الأغلب :

لقد كان لبنى الأغلب حكام تونس شرف الجهاد في سبيل رفع الراية الإسلامية راية لا إله إلا الله محمد رسول الله خفاقة عالية فوق قلب القارة الأوربية إذا اتجهوا بأنظارهم جنوب البلاد الإيطالية لمهاجمة القارة الأوربية وضما لدولة الإسلام الكبرى لتصبح القارة الأوربية مثل قارة آسيا وأفريقيا قارة تدن بالإسلام ، وجاء في كتاب الكامل لابن الأثير الجزء السابع حوادث عام ٥٢٨هـ أن الفضل بن جمعفر الهمداني سار إلى البحري ونزل إلى مرسى بحر ميسنى وبث السرايا ففتحوا وغنموا غنائم كثيرة واستأمن إليه أهل نابل وقد تكون هذه أول غزوة إسلامية يصل فيها المسلمون إلى الأرض الإيطالية .

أما عن درر الأغلبه فوجد أن أبو الأغلب إبراهيم بن عبد الله بن الأغلب ، يرسل من صقلية أسطولا قويا عدة رجاله شدة إيمانهم بالله وبالدين الإسلامي الحنيف وبرغبتهم في الاستشهاد في سبيل الله ، والجهاد من أجل نصرة دينه ، وأرسل هذا الأمير الأسطول الاسلامي الأغلبى إلى جنوب إيطاليا إلى قلوريه وهزم الأسطول الاسلامي ما قابله من أسطول النصارى ونزل الجند الاسلامي في جنوب إيطاليا حيث سجل الجندى المسلم صفحة من صفحات السكفاح الاسلامي على الأرض الأوربية ومن ثم فقد كان المسلمون دائما يريدون انتهاز الفرص للوثوب على الأرض الإيطالية بقوة عسكرية تمكنهم من فتحها والاستقرار بها ونشر أنوار الرسالة الاسلامية النعمة على أنقاض ظلمات الجهل الأوربي الذي يسود إيطاليا وباقي أجزاء أوروبا وقد سنحت الفرصة للمسلمين للتدخل في إيطاليا إذ قام صراع بين إمارة نابل وإمارة بيفان الإيطالية وكانت هذه الامارة قد هزمت نابلي فأرسل ملكها رسولا من قبله إلى بالرمو العاصمة الاسلامية لصقلية يطلب من أميرها أبو الأغلب إبراهيم مساعدته ضد إمارة بيفان وأميرها الذي هزمهم واقتطع أجزاء من إمارتهم فأرسل ابن الأغلب فرقة من جنده الاسلامي القوي ، اشتركت في القتال مع جند نابلي ضد الأمير الجاردي وبذلك استطاعت نابلي أن تتغلب على إمارة بيفان ، وبذلك رضخت هذه الامارة لشروط الصالح بفضل مساعده جند المسلمين ، وبعد أن رأى أمراء نابلي ما للمسلمين من تقدم في ميدان العلم والعمران والحضارة ، علاوة على ما لهم من قوة عسكرية وميزة قتالية في ميدان القتال الحرب وبذلك انفتحت أبواب إيطاليا وخاصة نابلي أمام تدخل المسلمين وكان هؤلاء يحملون معهم رايات المدنية والعلم والحضارة والفنون والتقدم والرقى ، وعنده رأى حكام هذه الامارة ضرورة عقد تحالف مع حكام صقلية الاسلامية وكان عقد هذه الاتفاقية عام ٨٣٥ هـ وظلت هذه الاتفاقية سارية المفعول ومعمول بها حتى عام ٩٠٠ م ، وكان من أثر هذه الاتفاقية أن لقيت إيطاليا صعوبات داخلية عظيمة وذلك بعد أن أتاحت للعرب والمسلمين فرصة التدخل في شئون الامارات الإيطالية الجنوبية وخاصة نابلي .

بل الأكثر من ذلك فإن مسلمي جزيرة صقلية قاموا بغزو إيطاليا من جهة الشرق وذلك عام ٨٣٨ م عندما قاموا بالسيطرة على « برنديزي » ، فحاول أمير تلك الامارة

أن يدفع المد الاسلامى عنها واسكنه بآء بالفشل، وبلغ المسلمون أنه بعد هروبه من بلاده أنه يعد حملة كبيرة لاستعادة بلاده بمساعدة إمارات الشمال الإيطالية فقام المسلمون بإحراق «برنديزى» إنتقاماً من أميرها الذى يريد أن يكبل المسيحية فى عاربه الاسلام، وعادوا بسفنهم إلى صقلية دون أن تلحق بهم أية خسائر فى الأرواح أو العتاد أو يخسروا سفينة واحدة من أسطولهم وذلك لأنهم خرجوا للجهاد فى سبيل الله وفى سبيل نشر الراية الاسلامية السمحة .

ويشير ابن الاثير أيضاً فى كتاب الكامل عن حوادث ٢٢٥ هـ فيقول أن أسطول المسلمين سار إلى قلوبيه والمقصود بقلوبيه ذلك الجزء الجنوبى الإيطالى الذى كان يشمل إمارات طارنت وبرنديزى ففتحهما ولكن أسطول القسطنطينية تحرك للدفاع عن الجنوب الإيطالى فلاقاه الأسطول الاسلامى فهزمه شر هزيمة بعد قتال عنيف وعاد الأسطول الرومى إلى القسطنطينية مهزوماً ومحلماً وكان ذلك فتحاً عظيماً للمسلمين وبداية للمد الاسلامى على إيطاليا .

الصراع بين المسلمين والروم :

ولكن هذه الخسائر الفادحة فى الأرواح والسفن والمعدات حركت القسطنطينية لبذل جهد حربي بحرى جديد فأرسلت أسطولاً كبيراً إلى الشرق إلى سرقوسة عدته ٣٠٠ سفينة حربية مجهزه بأحسن أجهزة العصر الحديثة فى ذلك الوقت ويمر الأسطول بمضيق مسينا وهو المضيق الذى يفصل بين جنوب إيطاليا من الجهة الغربية وبين جزيرة صقلية والتقى الأسطول الاسلامى الذى يرفع راية لا إله إلا الله ، محمد رسول الله بالأسطول الرومى تجاه الساحل الشمالى لصقلية ودارت معركة بحرية عنيفة أنتصر فيها العرب والمسلمون انتصاراً حاسماً أيضاً إذ فقد البيزنطيون أكثر من مائة سفينة حربية فى هذه المعركة التى سجلت نصراً بحرياً جديداً للأسطول الاسلامى وحاقّت بالروم أبشع هزيمة بحرية حاقّت بهم بعد هزيمة عام ٨٤٠ م .

وبعد تلك الهزيمة الساحقة بدأ الأمر وكأن مصير إيطاليا كلها على وشك الانتقال إلى أيدي العرب ، وأعرض هذا العمل الاسلامى حاكم إمارات اللومبارد

الاشمالية فقرر أن يقوم بعمل حربي ضد العرب ولكنه لم يضيف نجاحاً يعتر به وكيف يستطيع وهو لا يملك أسطولا يطرده العرب والمسلمين من مواقعهم الحصينة على الشواطئ الإيطالية والتي من هذه الشواطئ يتوغل المسلمون في غاراتهم داخل البلاد الإيطالية ، وخاف البنادقة من الوجود الإسلامي في جنوب إيطاليا على تجارتهم ودفعهم إمبراطور الروم إلى دخول الحرب ضد العرب ، فجهزوا أسطولا مؤلفا من ستين سفينة حربية وأقلع هذا الأسطول إلى صقلية قاصداً الانتقام من المسلمين ، بعد أن أحرز أسطولهم نجاحاً عظيماً في البحر المتوسط والتقى الأسطول الإسلامي بهذه السفن التي حشدتها البندقية ، بعد أن غرر بهم إمبراطور الروم أمام طارنت ودارت معركة بحرية عنيفة هلك فيها معظم البنادقة وسفنهم وأسر من ظل حيا منهم وتقدم المسلمون بأسطولهم إلى الجزء الشمالي من بحر الأدرياتيک نحو دلماسيا ، وأحرقوا مدينة د أوسروا ، في جزيرة كرمو واجتازوا البحر وأسروا أناساً كثيرين من أنكوتا وتعزو المراجع العربية إلى أن من أسباب انتصار المسلمين على البنادقة هو ذلك التضامن القوي الذي ظهر في تعاون أسطول جزيرة كريت مع أسطول صقلية في تلك المعركة التي تجلت فيها أسمى معاني الترابط الإسلامي .

ولم يكتفى المسلمون بما بلغوه من قوة ولا بما حازوه من مجد ديني وسياسي في عالم البحر المتوسط ، بل اعتبروا أنفسهم سادة هذه البلاد وأصحاب النفوذ الفعلي بها ، واستطاعوا خلال القرن العاشر الميلادي أن يهددوا تورينو ، ويهدسوا في د مونت فرات ، ويبدمن وتيستقروا في سهول نهر د اليو ، ثم يتقدموا تجاه حدود ليجوريا ودخلوا مدينة جنوة ووقعت في أيديهم جبال الألب الإيطالية الشاهقة وخاصة ممر د سان برنار ، وفرضوا الضرائب على المسافرين إلى روما عبر تلك الممرات وفي جبال الألب الإيطالية لانزال توجد أعداد كبيرة من القصور والأسوار والقلاع ويذكر الأدلاء للسياح أنها ترجع إلى عهد استقرار المسلمين بتلك النواحي ولعل بعض أسماء الأماكن في جبال الألب والتي نقرأها في دليل بيدكر ترجع إلى أصول عربية إسلامية قام العرب بإنشائها .

مواصلة الجهاد الاسلامي :

وفي عام ٣١٧ هـ / ٩٢١ م كانت سفن إسلامية تتراد البحر فلقيت أسطولا إيطاليا مؤلفاً من سبع سفن فدهام الأسطول الاسلامي هذه السفن ودمرها وانتصر عليها وكانت نتيجة هذا الانتصار البحر أن استولى المسلمون على مدينة « طومولى » وكذلك كان من أغرب غزوات ذلك العهد غزوة القائد المسلم يعقوب بن إسحاق الذي سار على رأس أسطول ضخم من الأساطيل الإسلامية المتعاونة مع أسطول صقلية قاصداً شمال إيطاليا ووصل إلى مدينة جنوة درة إيطاليا اللامعة ونازلها فأنس بها ضعفاً ، فأنزل جنده وبجارتها وصادها صدمة عنيفة مكنته من السيطرة عليها ورفع فوق جدران المدينة راية الاسلام الظافرة راية لا إله إلا الله ، محمد رسول الله - فترة طويلة من الزمن ، وأقام نظام حكم إسلامي بين ربوعها ولكن هناك ظروفًا حالت دون استمرار سيطرة هذا القائد المسلم على ذلك الجزء من الشمال الإيطالي إذ اكتفى بتدمير أجزاء منها والعودة بأسطوله سالماً محملاً بالغنائم والأسرى .

وفي تلك الأثناء والمسلمون يستعدون للقضاء نهائياً على آمال الروم بتلك الديار الإيطالية ويستعدون للقضاء على الخطر النصارى الذى أصبح يراحمهم فى مياه البحر المتوسط كان بلاط القسطنطينية يشعر بمقدار الكارثة التى حلت به فى ذلك الجزء من القارة الأوروبية ويضعف نفوذه البحرى فى البحر المتوسط ولذا فإنه بدأ يستعد لاعادة مكانته الحربية وسنحتة السياسة والدينية لدى العالم المسيحى ، ولذا فإنه لىكى يوقف المد الاسلامى فى تلك الانحاء فإنه جهز أسطولا عتيداً أحمله جنوداً غفيراً وسلاحاً وفيراً ومؤنة كافية ، وأرسل به نحو الجنوب الايطالى يحاول من خلال تلك القوة البحرية التى جهز لها فى سرية تامة استخلاص ذلك الجزء من العالم الأوروبى من أيدي المسلمين .

فعلم بذلك الأمير الحسن بنى على حاكم صقلية ٣٣٥ هـ / ٩٤٧ م فأرسل إلى شمال أفريقيا مستنجداً بالمسلمين لجأه المدد والاسلامى واستعد الفريقان للمعركة القادمة وكان ذلك فى عام ٣٣٦ م ٩٤٨ هـ فألقى الجمعان برأً وبحراً وأندهر الروم

فرجعوا على أعقابهم وانتصر المسلمون نصراً مبيناً وشيد الحسن بن علي مسجداً في مدينة « رجيو » في قلب الجنوب الإيطالي توطيداً لدعائم الحكم الإسلامي وثبتاً له ، وأجبر الروم المقيمين بمدينة « أونزته » على دفع الجزية . ولكن بعد سبعة أعوام ٥٣٤٣ هـ أعاد الروم السكره على المسلمين في الجنوب الإيطالي وجاء بطريقهم على رأس عمارة بحرية قوية ونصب الحصار على مدينة نابلي وحاول الانتقام منها ، فسار المسلمون إليه تحت قيادة الأمير عمار بن عيسى أخو الأمير الحسن حاكم صقلية ، وكان يتولى ، أمر المسلمين في أوروبا وساعد مدينة نابلي ضد هجوم الروم وتمكنوا من دحر الروم ولكن الروم نزلوا إلى البر في قلوبريه لمحاولة قطع الصلة بين صقلية والبلاد الإيطالية التي بها القوة الإسلامية بقيادة عمارة ، وتمكنت بعض الحاميات الرومية من احتلال مدينة « رجيو » وهدموا المسجد الذي بناه الحسن بن علي إيداناً بزوال سلطان المسلمين في تلك الأنحاء وغالوا في التعصب لجمع الحسن بن علي قواته وسار بها إلى قنوريه وضم جهوده لمجهود عمار فالتقى المسلمون بالروم في وقائع عديدة انتصر فيها المسلمون وأعادوا مدينة رجيو إلى سيطرتهم والتقوا بالأسطول الرومي وحطموه واضطر الروم على أثر ذلك للانسحاب وطلب الهدنة ، وكان ذلك عام ٥٣٤٨ هـ / ٩٦٠ م .

إمارة بارى :

قال البلاذري في كتابه فتوح البلدان بارى مدينة على شاطئ البحر وكان أهلها نصارى وليسوا بروم غزاها جيله مولى الأغلب فلم يقدر عليها ثم غزاها خلفون البربري ويقال أنه مولى لربيعة ففتحها في أول خلافة المتوكل وهي على بحر الأدرياتيك رقام بعده رجل اسمه « المفروح بن سلام » ، ففتح أربعة وعشرين حصناً واستولى عليها وكتب إلى صاحب البريد بمصر يعينه خبرة وإنه لا يرى لنفسه ومن معه من المسلمين صلاة إلا بأن يعقد له الإمام على ناحيته ويوليه إياها ليخرج من صد المتغلبين - والمقصود هنا الأغالبة حكم تونس وصقلية وبني مسجداً جامعاً ثم أن أصحابه أنشقوا عليه فقتلوه وقام بعده « سوران » فوجه رسوله إلى أمير المؤمنين المتوكل بالله وكانت خلافته ستة أشهر وقام المستعين بالله أحمد بن محمد بن

المعتصم بالله فأمر عامله على المغرب وهو « أوتامش » ، مولى أمير المؤمنين بأن يعقد له على ناحية فلم يشخص رسوله من « سري من راي » ، وهى العاصمة التى اختارها المتوكل بدلا من بغداد لتكون عاصمة الخلافة العباسية ، حتى قتل أوتامش وولى الناحية وصيف مولى أمير المؤمنين فعقد له وأنقذه ، ولعل هؤلاء الفاتحين المجاهدين فى سبيل الله وفى سبيل نشر رسالته السمحة كانوا من أهل جزيرة كريت ولاصلة لهم بدولة الأغالبة القائمة فى تونس والمسيطرة على جزيرة أصقلية فعهد المفرج وبعده سوران إلى الخلافة العباسية يراجعها مباحرة لتضمن له ولايته على هذه البلاد وتعترف به شرعياً والياً عليها أو الواقع أن سلطة المفرج وبعده سوران قد امتدت إلى كل الأجزاء الجنوبية من إيباليا ولم يكتفى بما فتحة من أربعة وعشرين حصنا ، بل أن غاراته وصلت إلى جنوب نابلى وسالرن وعمل على مد السيادة الإسلامية إلى أجزاء جديدة من الأراضى الإيطالية ، وقد أدى ذلك إلى زيادة حدة التوتر عندما تقدم المسلمون نحو الشمال فى الفترة من ٨٧٥ - ٩٠٢ م وأنشأوا إمارة صغيرة فى عام ٨٨٣ م فى البلاد الواقعة شرق جانيا فى مصب نهر « ترنب » ، وقد استمرت هذه الإمارة فى قبضة المسلمين حتى عام ٩١٥ م بل أنهم توسعوا فى ضم أجزاء من الأراضى إلى هذه الولاية الإسلامية الصغيرة التى استطاعت أن تتولى السيادة والسيطرة الإسلامية على ذلك الجزء من بلاد إيطاليا . ولكن لويس الثانى ملك فرنسا كان قد نزل إيطاليا فى عام ٩١٥ م وفتح مدينة بارى وذلك بمساعدة أمراء شمال إيطاليا وقتل كثيراً من المسلمين بها بعد أن دمرها واحرقها كلها فاضطر الباقى منهم إلى ترك الإمارة ، وبذلك انتهت دولة الإسلام فى إمارة بارى والتى قامت فى الجنوب الإيطالى لفترة استمرت أكثر من ثمانين عاما إذ أن فتح مدينة بارى كان فى عام ٨٤١ م ولقد نشر المسلمون فى تلك الإمارة حضارتهم الإسلامية الزاهرة وثقافتهم الراقية فى وقت كان يسود جنوب إيطاليا الفقر والفوضى والوحشية بين سكان تلك المناطق . والتى كان الاسلام وحضارته سببا فى الأخذ بيد هذه الشعوب إلى مدارج الحضارة الاسلامية .

ولكن العرب والمسلمين لم يكتفوا بتلك النتيجة وهذا الانتصار الذى حصل عليه ملك فرنسا وحلفاؤه من أجزاء شمال إيطاليا والذين جهزوا حملاتهم سرا

واستول على بارى مباغطة وإزاء ذلك الهجوم سار المسلمون إلى الشمال من جهة البحر واستولوا على مدينة جنوة ، عام ٣٢٣ هـ وقد بسطوا نفوذهم على تلك الأنحاء وتحذوا القوة النصرانية المتحالفة التي قضت على إمارة « بارى » بأن فتح المسلمون لهم جبهة أخرى ودار الصراع بين الطرفين من أجل السيطرة على هذه الأجزاء من القارة الأوروبية وكان المسلمون بعد إذ تغلبوا على أهل جنوة وأسطولها قد دخلوا المدينة وأصابوا مغانم كثيرة وأخذوا أسرى كثيرين معهم إلى شمال أفريقيا وقفلوا راجعين وكان أسطول جنوة في جزيرة كورسيكا فلما علم بما حدث للمدينة تحرك إلى جنوة ودارت معركة بحرية عنيفة في عرض البحر حاول بها الأسطول الجنوى اعتراض الأسطول الإسلامى ولكنه خسر في تلك المعركة معظم سفنه وتحطم الباقي ولم ينجوا إلا العدد القليل منها .

الغزو الإسلامى لروما عاصمة المسلمين :

ولكن المسلمين الذين كانوا يسعون جاهدين لتحقيق هدفهم في الوصول إلى كل أوروبا بالإسلام ورسائله الخالدة لم يقفوا عند حد الأجزاء الجنوبية من إيطاليا بل أنهم كانوا يسعون من أجل السيطرة على روما عاصمة المسيحية ومن ثم فقد أخذوا يعدون العدة لذلك، لذا فقد كانت الغزوة الأولى لروما عام ٨٢١/٨٤٦ م وبها رأى العباس بن فضل بن يعقوب بن فزارة ، ويعرف بابن البربرة حاكم صقلية من توافر العسكر الإسلامى والقوة البحرية الإسلامية بين يديه واجتماع الجيوش الإسلامية من أرجاء شتى من العالم الإسلامى أن الفرصة قد سنحت لضرب المسيحية الضربة الحاسمة والقاصمة وإنجاز العمل الكبير وهو فتح روما والقضاء نهائياً على عاصمة النصارى وضمها إلى ديار الإسلام ، وجزء العباس لذلك أسطولا ضخماً يحمل جنوداً عدته الإيمان بالله والعمل على نشر رسالته والاستعداد لبذل الدم والاستشهاد في سبيل الله وقهر أعداء رسالته وإنجاز ذلك العمل الكبير ذلك لأن روما كانت لانزال لها صديتها وحبها في قلوب النصارى ، وكان بابا روما يتمتع بمكانة كبيرة لدى الشعوب النصرانية ، وكذلك فإن النصارى كانوا يأتون إليها من كل أجزاء أوروبا الغربية لزيارة الأماكن المسيحية بها .

وقد بارك هذه الغزوة الميمونة وشجعها وعمل كل ما في وسعة لإنجاحها أمير صقلية وأمير تونس أبو العباس محمد بن الأغلب وكانت هذه الحملة الإسلامية البحرية من السرايا البحرية الخاصة التي يمتاز رجالها عن بقية رجال الأسطول بالقدرة الفائقة في فن القتال البحري والقدرة على صعود الحصون وتسلق القلاع والذي لاشك فيه أن أمير صقلية قد بدأ في تنظيمها والإعداد لها في سرية تامة وتحرك الأسطول الإسلامي دون علم الدول النصرانية وخاصة القسطنطينية ، ورست السفن الإسلامية الرافعة لراية لا إله إلا الله ، محمد رسول الله عند مصب نهر الثيبسز وسيطر المسلمون على مدينة أوسنى ، ثم بدأوا في الانقضاض على أحد أحياء روما وضربوا الحصار حول المدينة وأخذوا يستعدون للهجوم النهائي عليها فارتاع البابا من ذلك الحصار واهتز الشعب الروماني والمسيحي عامة فرعا ورعبا وبادر الإمبراطور لويس الثاني إمبراطور الفرنجة ، عندما علم بذلك بإرسال حملة من خيرة جنده لملافاة الجند الإسلامي وجاءت جنود النصارى من جنوة والبندقية ونابلي وغيرها من المدن الإيطالية ، ولكن في نفس الوقت جاءت حملة إسلامية أخرى دفع بها أمير صقلية لكي تشد من أزر الحملة الأولى وتحكم الحصار حول روما حتى تسقط في أيدي المسلمين ، ولكن الذي أنقذ روما من أيدي المسلمين هو وقوع الخلاف بين المسلمين أنفسهم مما أدى إلى انسحاب جند الأندلس وكريت من المعركة فاضطر جند صقلية وشمال أفريقيا إلى رفع الحصار عن المدينة بعد أن اقتتلوا مع جند إمبراطور الفرنجة وسفن الثغور الإيطالية قتالا رائعا يدل على قوة الجندي المسلم وعادوا إلى الجنوب يحملون معهم كثيراً من الأسرى والأسلاب والغنائم .

وقد كشفت هذه الجراءة الإسلامية عن مدى الضعف لمدينة المسيحية روما وما يمكن أن تتعرض له من المخاطر فعمل البابا على تحصين المدينة وضم بعض الأحياء الخارجية منها إلى السور الكبير الذي بدأ في إقامته حول روما وذلك لحمايتها من الغزو الإسلامي الذي قد تتعرض له المدينة مستقبلاً .

وعن تلك الغزوة يقول أحد كتاب النصارى (ناليو) أن العرب لم يحاصروا

روما ، بل بلغوا أرجائها في عام ٨٤٦ م ونهبوا الأحياء المجاورة مثل حى القدس بطرس والقديس بولس وكانا إذ ذاك خارج أسوار المدينة وأنهار عليهم أهل القرى فاضطروا إلى الرجوع عنها ولن نعلق على ذلك الرأى الضعيف وترك للقارىء المسلم الحكم على ذلك التعصب المسيحى إذ كيف يستطيع أهل القرى العزل من السلاح مقاومة وضرد حملة حربية جهز لها منذ فترة طويلة ومسلحة بأحدث أسلحة العصر .

وتوالى بعد ذلك حملات المسلمين على الموانئ الإيطالية وظلت فكرة غزو روما وبسط النفوذ الإسلامى عليها تجول فى أذهان المسلمين لعدة أعوام أخرى حتى خرجت الحين للتنفيذ فى فرصة أخرى .

الغزوة الثانية لروما :

ولقد ظل المسلمون ينتهزون الفرص والظروف المناسبة لغزو المدينة مرة أخرى وضمتها إلى الدولة الإسلامية الكبرى وحانت الفرصة لهم مرة أخرى عام ٢٥٦ هـ / ٨٧٠ م فقد نشط أمراء المسلمون فى موانئ أفريقيا وكريت وصقلية والاندلس وعملوا على تجهيز حملة كبيرة لهذا الغرض وكان أمير أفريقيا فى ذلك الوقت هو محمد بن أحمد الأغلب وأمير صقلية محمد بن خفاجه وكان أمير الأغالبة قد بسط نفوذه على جزيرة مالطة عام ٢٥٥ هـ وبذلك سهل تحرك الأسطول الإسلامى من أفريقيا إلى صقلية بعد أن كانت مالطة لانزال فى قبضة الروم .

المهم هنا أن الوحدات الإسلامية المختلفة انفتحت فيما بينها على تجمع الأسطول الإسلامى بوحداته المختلفة فى جزيرة سردينية وذلك لتوحيد القيادة الإسلامية وتنفيذ خطة الهجوم على روما وهى الخطة المتفق عليها ، وتحرك الأسطول الإسلامى وقصد إلى الشاطئ الإيظى ورست السفن جميعها على بعد ١٦ ميل من روما وذلك للزحف من كل الأرجاء وتطويق المدينة وليس مثل الهجوم المباغت الذى تم فى المرة السابقة ، وكان البابا ليو الرابع قد عقد تحالفة دفاعية مع جميع أمراء الموانئ الإيطالية ومدنها ومع إمبراطور الفرنجة وملك لمبارديا فى شمال إيطاليا

فبادر هؤلاء جميعا في الحال عندما أحسوا بالهجوم الاسلامي بالزحف على سفن الاسطول الاسلامي بعد أن كان أكثر رجال القوة الإسلامية قد تحركوا للداخل لاحكام الحصار حول روما ولكن الاسطول الإسلامي كان على حذر ودارت معركة بين الاسطولين بالقرب من روما ولكنها لم تستمر طويلا إذ هبت عاصفة هائلة في ذلك الوقت ارتد على أثرها أسطول الفرنجة إلى الشاطئ واصطدمت سفن المسلمين بعضها ببعض وغرق عدد منها واضطر المسلمون على أثر ذلك إلى الانسحاب وترك روما بعد أن كادت تسقط في أيديهم .

غير أن ذلك لم يثن المسلمين عن عزمهم من السيطرة على روما وضربها ليدار الاسلام فلم يشأ يهددون المدينة بالحصار حتى اضطر البابا يوحنا الثالث أن يفاوض المسلمين في الجلاء عن الأراضي المحيطة بالمدينة والتي كانوا قد سيطروا عليها في الغزوة الثانية على أن يدفع لهم جزية سنوية قدرها ٢٥ ألف قطعة من الفضة كل عام على ألا يعودوا لغزو المدينة مرة أخرى ولكن المسلمين لم يكتفوا بذلك بل أنهم قاموا ببناء مسجد كبير وجعلوا في آخر أركانه مأذنه عالية واشتروا على الروم بالأيمنعوا المسلمين من عمارته وإقامة الصلاة به والأذان بصوت عال ومسموع وإطلاق حرية المسلمين في ممارسة شعائرهم الدينية وألا يدخله أحد من النصارى ومن دخله من الأسرى المسلمين فهو آمن فسواء كان مرتدًا عن دينه أو لازال مسلماً وإن خربوا حجراً منه هدمت كنائسهم كلها في صقلية وأفريقيا ولكن فتح المسجد لم يدم طويلا غير أربع سنوات ظلت تقام فيه الشعائر وسرعان ما انتهز النصارى فرصتهم وأنقضوا عهدهم وقاموا بهدم المسجد .

إشتداد الصراع بين المسلمين والنصارى :

لقد نبه غزو روما من قبل المسلمين مرتين النصارى للخطر الاسلامي الذي تتمعرض له بلادهم وللتوسع الاسلامي الذي كاد أن يطوى كل إيطاليا تحت راية الاسلام ولتصبح ولاية إسلامية تضم إلى بقية الولايات الإسلامية في أوروبا ولتزداد بها رقعة العالم الاسلامي اتساعاً وتزداد بها قوة المسلمين في أوروبا ولتتبعها مرحلة أخرى يمتد بعدها الزحف الاسلامي إلى أجزاء أخرى من القارة

الأوربية وإزاء هذا المد الجارف قام إمبراطور إيطاليا الشمالية الإمبراطور «أوتو» بمقعد المحالفات مع إمبراطور الفرنجة ومع جنوة والبندقية وغيرها من الإمارات الإيطالية وطلب المساعدة من القسطنطينية لكي تقوم بطرد المسلمين من إيطاليا كلها وضم بلادهم إلى إمبراطوريته، وجهر لذلك حملة عسكرية كبيرة وقام بالتقدم إلى الجنوب، الإيطالي الذي كان قد صار أرضاً إسلامية رفع فوقها راية لا إله إلا الله، محمد رسول الله، وزحف على رأس هذه الحملة الكبيرة ليطرد المسلمين وكان واثقاً من نجاح حملته نظراً للمساعدات التي تلقاها والوعود التي وعدة بها حلفاؤه لمساعدته ومدة بالقوات اللازمة عند الضرورة ولكن البنادقة تخلفوا عنه في أخرج الأوقات وامتنعوا عن تقديم أية مساعدات عسكرية له بل إنهم قبلوا التعاون مع المسلمين لأنهم رآوا أن مصلحتهم في التعاون معهم وذلك لأنه كان يسعى في الخفاء لضم البندقية إلى إمبراطوريته ولكن «أوتو» لما وصل إلى «رأس ستيلو» وجد الجميع قد تخلفوا عنه وذلك لحكمة المسلمين البارة في شق صفوف النصارى فاضطر الملك أوتو أن يواجه جيشاً إسلامياً قوياً موحداً ونتيجة لهذا اللقاء وقتل العرب والمسلمين واستعدادهم للتضحية في سبيل إعلاء كلمة الإسلام فقد حلت الهزيمة الساحقة بقوات «أوتو» إذ تمزق جيشه إرباً وساعده الحظ بالفرار من الأسر الإسلامي الذي وقع فيه إذ هرب متنكراً في ملابس جنسدي وليس ملابس القائد ولكن في عام ٩٣٨ م توفي الملك أوتو ومع وفاته ماتت مشروعاته وزال الخطر عن المسلمين من جانب أسرة أوتو ولكن في عام ٩٨٦ م أغارت القوات العربية الإسلامية على مدينة جرائشه كوسترا في الشمال ثم هاجموا المناطق الغربية في باري عام ٩٨٨ م ثم زاد خطر المسلمين والعرب بعد هزيمة البيزنطيين أمام الأساطيل الفاطمية العربية أمام الشواطئ السورية ولكن منذ عام ١٠٠٢ م أخذ المسلمون ينتشرون داخل إيطاليا في غارات واسعة كما سيطروا على مدينة منتقديم وسيطروا أيضاً على باري للمرة الثالثة عام ١٠٢٢ م وبدأت سيطرتهم عليها كما لو كان شيئاً دائماً.

وقد أزعج هذا العمل الإسلامي البنادقة وكرهوا أن يكون للمسلمين ملك دائم في ذلك الأقليم المسيطر على مدخل البحر الأدرياتي وفي عام ١٠٠٤ م

هاجموا مدينة « بيزا » واستولوا على مدينة كوسترا مرة أخرى ونظراً لانشغال بيننطة في حروبها مع البلغار فإنه لم يعد في تلك الأرجاء في القارة الأوروبية قوة يعتد بها وقادرة على أن تصد غارات المسلمين ولذا فقد أغاروا في عام ١٠٠٧ م على مدينة بيزا مرة أخرى أو ربما كان المغيرون في هذه المرة من مسلمي الأندلس وبذلك فقد أصبحت إيطاليا مثلما كانت في أواخر القرن التاسع الميلادي الصيد السهل للمسلمين والذين كانوا يحاولون في كل غاراتهم توطيد النفوذ الإسلامي في تلك الأنحاء .

انكسار المد الاسلامي :

إذا كان قد أصاب المسلمين بعض الخسائر في إيطاليا من أثر تضافر قوات الامبراطورية البيزنطية والجمهوريات الإيطالية مثل بيزا وجنوة والبندقية ، وكذلك الامبراطورية الغربية والبابوية في روما قد تضافرت هذه القوات جميعها على طرد المسلمين من إيطاليا ولقد نتج عن ذلك أن أصاب المسلمين بعض الخسائر في الجنوب الإيطالي نتيجة لتدخل الامبراطور البيزنطي بأسطوله إلا أنه قد بقيت بعض المراكز والمدن الهامة في هه البقاع بأيدي المسلمين كانوا يستغلون منها باستمرار تهديد روما والأراضي المحيطة بها ولكن البابا يوحنا العاشر بابا روما كان قد عقد العزم على التخلص نهائياً من المعازل الإسلامية التي كانت دائماً تهدد مدينته فعمل على تأليب جميع أمراء إيطاليا الجنوبية والوسطى والشمالية وأمرهم باقي أنحاء أوروبا والذين بذلوا جهودهم جميعاً وأعانهم الأسطول البيزنطي فاستطاعوا الاستيلاء على أكبر المعازل الإسلامية وهو معقل « كاريليانو » وقتلوا من كان فيه من المسلمين وقد كان استيلاء النصارى على هذا المعقل الإسلامي أكبر الوقائع الحربية في إيطاليا الجنوبية وقد شارك البابا يوحنا العاشر بنفسه وعرض ذاته للخطر إلا أنه بهذا النصر ضمن لنفسه ولأبلاكه في إيطاليا دراً للخطر الإسلامي الذي كان يهدده منذ فترة طويلة بعد أن امتنع عن دفع الجزية التي كان يدفعها أسلافه للمسلمين .

وفي أثناء هذه الحوادث الدامية بين المسلمين والنصارى على أرض إيطاليا

تسكونت الامبراطورية المسيحية في ألمانيا وأراد أباطرة هذه الامبراطورية رفع راية الكفاح والدفاع المقدس في نظرهم ضد المسلمين فسار الامبراطور الألماني بقواته الألمانية إلى أرض إيطاليا لملاقاة المسلمين واستطاع أن يحقق بعض النصر عليهم إلا أنه لم يكن نصراً حاسماً يستحق كل هذه الجهود الحربية التي بذلت من أجل تلك الحملة ولكن النورمان كانوا قد ظهروا على مسرح الأحداث السياسية في أوروبا ومن ثم أخذوا ينتشرون في إيطاليا الشمالية ومن ثم أخذوا يتقدمون نحو الجنوب وكانت الظروف السياسية السائدة في العالم الاسلامي قد ساعدت على ذلك إزاء ما أصاب العالم الاسلامي من التفكك والانقسام بين القادة المسلمين قد ساعدتهم على تنفيذ خططهم إذ كان الصراع على أشده بين الخلافة الفاطمية في القاهرة والخلافة العباسية في بغداد والاموية في الأندلس ، ولذا فقد ترك المسلمون جميعاً إخوانهم المسلمين في جنوب إيطاليا دون مساعدات إسلامية مما جعل النورمان يتقدمون دائماً في طريقهم من أجل إنهاء الوجود الاسلامي في إيطاليا ولم تستطع قوات المسلمين المحلية في إيطاليا الوقوف أمام زحفهم الكاسح بعد أن انقطع المدد الاسلامي عنهم إذا كان المسلمون يخشون قواعدهم وينهارون أمام زحفهم المستمر والمتواصل ولذا قرر المسلمون الانسحاب من الجنوب الإيطالي إزاء هذه الهجمات المتواصلة وفقدوا الأمل في وصول نجدات إسلامية من العالم الاسلامي في الشرق أو شمال أفريقيا فركبوا سفنهم إلى الشمال الأفريقي وأجزاء أخرى من العالم الاسلامي حاملين معهم من رأى الانسحاب وترك من ظل يقاوم الغزو النورماني وبذلك انتهى الوجود السياسي والحربي للمسلمين في جنوب إيطاليا ولم يأت عام ١٠٧٨ م إلا وكان النورماندين قد بسطوا نفوذهم على كل إيطاليا ومن بعدها قفزوا إلى صقلية وبسطوا نفوذهم عليها ، ولم يكن بسط النورمان لنفوذهم السياسي والحربي على إيطاليا الجنوبية وصقلية معناه انتهاء الوجود الاسلامي نهائياً بتلك الأنحاء من القارة الأوربية ولكن على العكس من ذلك فقد ظل المسلمون يمارسون دورهم الثقافي والاجتماعي والحضاري والسياسي أيضاً في هذه البيئة الإسلامية التي ألف النورمان معيشتها في ذلك الجو العربي الاسلامي وسمحوا للمسلمين بممارسة حياتهم العادية وإقامة شعائرهم الدينية بل أن أباطرة النورمان الأوائل الذين

حكموا صقلية وجنوب إيطاليا كان مستشاريهم من العرب المسلمين وأيضاً رجال القصر وبلاطهم الأمبراطورى وقادة الجند وقادة الحرب والبحرية ظلوا جميعاً من المسلمين ولكن ازجود الاسلامى انتهى كمظهر من مظاهر السيادة والقوة السياسية والعسكرية بسيطرة هؤلاء النورمان على جنوب إيطاليا وصقلية .

الحضارة الاسلامية وثقافتها فى إيطاليا :

يقول المستشرق الإيطالى (ليريتينى) عن أثر العرب والاسلام فى إيطاليا ماهو أنه لو دام الحكم العربى الإسلامى فى جنوب إيطاليا لبضعة قرون أخرى . لازاحت الحضارى العربية الاسلامية الحضارة الراقية والمتطورة والتى جاء بها هذا الشعب العربى الاسلامى المتفتح الواعى الذكى حضارات الشعوب الإيطالية المتأخرة والتى تسمى تجاوزاً حضارة ، فقد كانت إيطاليا فى ذلك الوقت فقيرة جداً ، تحشد بها عصابات متوحشة كثيرة تعمل على السلب والنهب وإفلاق الراحة فى الأقاليم الإيطالية أما العرب المسلمون بطبيعتهم وإيمانهم برسالتهم وشدة تمسكهم بدينهم الاسلامى الخفيف فإنهم دائماً كانوا ولازالوا يعملون على رقى وتحضر البلاد التى فتحوها وإيطاليا شأنها شأن كل الأقطار التى خضعت للمد الإسلامى وإزدهرت فيها الحضارة الإسلامية والثقافة العربية وأنت ثمارها التى نعم بها الشعب الإيطالى فى عهد النهضة فالعرب أدخلوا محاصيل الشرق الزراعية إلى إيطاليا وأدخلوا صناعات لم تكن معروفة إطلاقاً فى أوروبا ومنها أنشأوا مصانع لصناعة الورق فى صقلية ومنها انتشرت صناعة الورق فى إيطاليا وأقام العرب له مصانع فى الأجزاء الجنوبية من البلاد .

وأيضاً أنشأوا المصانع لطبع الثياب ومن مصانعهم كانت تصدر الثياب المحلاة بالجواهر وأيضاً للطنافس المصورة بأنواع الصور إلى أجزاء كثير من أوروبا وأيضاً أدخلوا صناعة الجلود المدبوغة وصناعات الخبلى وغيرها من الصناعات التى كانت تجلبها إيطاليا وغيرها من البلاد الأوروبية فى ذلك الوقت . وأيضاً تقدم فن البناء والعمارة وكانت المبدأ فى الإسلامية التى أقيمت فى إمارة بارى وغيرها من الأجزاء الأخرى التى انطوت تحت الحكم الإسلامى فى إيطاليا - المبدأى تعتبر آية من آيات

الفن العربى الاسلامى فى مباني ضخمة وعظيمة استخدمت فيها الفسيفساء والمزايركو وحلواها بالصور والنقوش والآيات القرآنية الجميلة وأكثروا من القصور ذات الحدائق الفناء ، وبقدر اهتمامهم بالعمارة والمباني السكنية فقد اهتموا اهتماما خاصا بإقامة وبناء المعامل والحصون والقلاع الحربية وأيضاً بناء القناطر والكبارى وغيرها من شتى الأمور التى كانت تزدهر بها الحضارة الاسلامية العربية فى ذلك الوقت باعتبارها أستاذة الحضارات الإنسانية والعالمية فى العصور الوسطى ، بل تكاد تكون الحضارة الوحيدة طوال أربعة قرون متواصلة .

واهتم العرب والمسلمون فى جنوب إيطاليا ببناء المساجد الواسعة الرائعة بل أنهم أكثروا من بناء المساجد فى كل مدينة من المدن التى كانت تخضع لهم ولنفوذهم الاسلامى أو يوجد بها عدد من المسلمين وإنشاء الكثير من الفنادق والحمامات وبلغت الحضارة الاسلامية فى جنوب إيطاليا شأناً عظيماً لأنها تأثرت بل صبغت بصبغة الحضارة الاسلامية التى كانت سائدة فى صقلية وكريت والأندلس واستقت من هذه المنابع الثلاثة مصادرها وقوتها بالإضافة إلى الحضارة الوافدة من الشرق الإسلامى والشمال الأفريقى ، وكذلك اهتم الحكام المسلمون الفاتحون بإدخال السكان المحليين فى الدين الإسلامى الخفيف فانتشر الاسلام ولغته العربية الغراء الخالصة بين السكان وغلب اللسان العربى على أكثر الأرجاء وترك العرب ولغتهم ألفاظاً كثيرة فى اللغة الايطالية ولقد كان العرب والمسلمين بعلمهم وثقافتهم وحضارتهم أكثر وأعظم من تأثيرهم بكيانهم السياسى إذ أن الثقافة العربية الاسلامية هى التى تشبع بها الشعب الايطالى وساعدت على قيام عصر النهضة فى إيطاليا ومنها انتقلت إلى أنحاء أخرى من القارة الأوروبية .

ويقول مستشرق آخر غير « ليرتيني » هو المستشرق الايطالى « رينالدى » أن الجزء الأعظم من السككيات العربية الباقية فى اللغة الايطالية التى تفوق الحصر دخلت للغة الايطالية لا بطريق السيطرة العربية والغزو ولكن بطريق المدينة الاسلامية المتطورة المتقدمة التى امتاز بها العرب والمسلمين كثيراً ما تؤلف بين مظاهر الحياة المختلفة وأن كثيراً من السككيات العربية استخدمت فى اللغة الايطالية ولا سيما

فى لغة العلم وقال أن من أثر تأثير الحضارة العربية فى إيطاليا وقوة لغتها الغراء وأن دفع ذلك حكومة جنوة الإيطالية إلى أن تؤسس فى بداية القرن الثالث عشر الميلادى ١٢٠٧ م مدرسة لتعليم اللغة العربية ويدل ذلك على وجود كلمات كثيرة فى لغة هذه المدينة وفى اللغات العامة فى جميع المدن الإيطالية التى خضعت للهد الإسلامى طوال فترة الوجود الإسلامى فى إيطاليا أو تاجرت مع الشرق الإسلامى بعد أن انفصلت عن السيادة الإسلامية .

ولقد دخلت كلمات كثيرة من أصل عربى مع التجارة العربية الوافدة من الدالم الإسلامى ولا تزال كلمات عربية كثيرة فى معاجم لغتهم إلى اليوم ، وأيضاً فإن الهندسة الغربية إذاً أمعنا النظر فيها نجد أنها ليست إلا هندسة عربية خالصة ثم أيضاً أسماء الموازين والمكييل والألفاظ العربية الحربية والبحرية التى سرت إلى اللغة الإيطالية من اللغة العربية ، فإذا كانت صقلية مدينة للعرب وللإسلام فإن إيطاليا مدينة لصقلية فى ابتكار الشعر الوطنى ولقد قلد أمراء النورمان فى حكمهم وأسلوب معاملتهم وحياتهم فى قصورهم ودواوينهم وكل أسلوب حياتهم النظام العربى الإسلامى الذى كان سائداً فى صقلية وجنوب إيطاليا قبل سيطرتهم عليها وإقصاء أوجود الإسلامى من تلك الأما كن التى خضعت للهد الإسلامى فترة طويلة من الزمن .

كذلك فإن العرب والمسلمين لم يساعدوا فقط على نهضة الشعر الإيطالى بل أنهم أعدوا قطعاً إيطالية بشكلها ومادتها وأن دانق شاعر إيطاليا اقتبس موضوع روايته السكوميديا الإطلية من رسالة الغفران لأبى العلاء المعرى سواء اعترف شعراء الغرب اليوم أم لم يعترفوا فإنها تسكاد تسكون صورة طبق الأصل لرسالة المعرى ولأن كان هناك فريقاً من أدباء الغرب يعترفون بهذه الحقيقة الثابتة وكذلك من مدرسة الطب التى نشأت فى بلم عاصمة صقلية انتشر الطب العربى ومزلفاته العربية الإسلامية ومدارسه وإن العلوم العربية الإسلامية بكل فروعها أخذت تنتشر فى كل المدن الإيطالية ومن هنا فإنه يمكن القول بأن الحضارة العربية الإسلامية هى صاحبة الفضل الأول والآخر فى ظهور عصر النهضة فى إيطاليا

وفي أوروبا في العصور الوسطى وأن ترجمة الكتب العربية الكثيرة في مختلف فنون المعرفة الإنسانية إلى اللغة اللاتينية هي السبب المباشر والقوى لازدهار حضارة الغرب والتي ينعم بها العالم اليوم والتي ما هي إلا ثمرة من ثمرات الحضارة الإسلامية العربية التي اقتبس منها رجال أوروبا الأسس الأولى لقيام حضارة العصر الحديث .

الاسلام في إيطاليا اليوم :

تمر الأيام والسنين والأحوال في إيطاليا كما هي على الرغم من انقراض الوجود الاسلامي في القرن ١٢ م حتى بعد الحرب العالمية الثانية ١٩٤٥ حيث أخذ بعض المهاجرين المسلمين يهاجرون إلى إيطاليا من الكتلة الشيوعية في أوروبا الشرقية بعد خضوعها للحكم الشيوعي مع هجرة صغيرة من ليبيا وتونس وأرتيريا . كما أخذ بعض الإيطاليين يمتنعون الاسلام وأنه طبقاً لآخر إحصاء فإنه يوجد في إيطاليا اليوم حوالي ٥٠ ألف مسلم ، كذلك توجد جمعية إسلامية لرعاية شئون اللاجئين القادمين من أوروبا الشرقية وهذه الجمعية لها جهود لدى الحكومة الإيطالية بشأن إعراف إيطاليا بالدين الاسلامي ، وتوجد جمعية أخرى تأسست عام ١٩٦٤ كمرکز إسلامي بمساعدة السفارات العربية والإسلامية، وتحاول هذه الجمعيات إنشاء مدارس إسلامية بمساعدة رابطة العالم الإسلامي ، كذلك يوجد للمسلمين مدافن خاصة بهم ولهم مراکز أخرى في ميلانو ويلاحظ الآن بعد توطيد العلاقات بين إيطاليا والدول العربية الإسلامية إنه قد قل التعصب ضد المسلمين ويبدى كثيراً من الإيطاليين الرغبة في التعرف على الإسلام ومبادئه ولا سيما أن الاسلام قد استقر في جنوب إيطاليا فترة طويلة من الزمن وخاصة صقلية وغيرها من الأماكن الأخرى في إيطاليا .

وتلك هي نظرة سريعة عن الإسلام والثقافة العربية في إيطاليا ألقينا بها الضوء على جزء من العالم الاسلامي الذي زال الإسلام بعد أن كانت أرضاً تشيعت بروح الاسلام وحضارته ولكن المد الاسلامي سوف يزدد في الأيام القادمة بإذن الله .

الاسلام والثقافة العربية في جزيرة صقلية

لقد خرج العرب والمسلمون من الجزيرة العربية يرفعون راية الجهاد ، راية لا إله إلا الله ، محمد رسول الله . لينشروا دينهم وعقيدتهم الإسلامية السمحة في كل مكان يقطنه بشر وفوق كل أرض يعيش عليها قوم ونجحوا في غزو بلاد فارس وبدوا يستولون على أرض الدولة البيزنطية ففتحوها مصر والشام وغيرها من البلاد التي كانت تخضع للامبراطورية البيزنطية ومضى العرب في طريق الله أكبر حتى على الجهاد يدفعهم الحماس الشديد لنشر راية الإسلام ورفعها خفاقة عالية في كل البقاع ، حتى أن فتوحاتهم كانت كموج البحر الجارفة تسكتسح أمامها كل الأوثان وتنتشر عقيدة الإسلام ، وكان من خطط المسلمين الأوائل نشر عقيدتهم ورفع راية الإسلام في كل القارة الأوروبية ، ولكن حالت جدران مدينة القسطنطينية دون اختراق المسلمين القارة الأوروبية من الناحية الشرقية . كذلك كانت معركة بلاط الشهداء ووقوف الزحف الإسلامي أمام مدينة بواتيه ، . حائلا دون اختراق القارة الأوروبية من الناحية الغربية ، بعد إن كانت أمواج المسلمين قد اخترقت جبال البرانس ، وزحفت في سهول فرنسا الواسعة الجنوبية . وكان حلم موسى بن نصير الكبير أن يفتح أوروبا من الغرب ويصل دمشق عن طريق روما والقسطنطينية بعد أن حالت القسطنطينية دون فتح أوروبا من الشرق .

ورغم وقوف مدينة القسطنطينية ومدينة بواتيه دون اندفاع المد الإسلامي . لنشر الاسلام إلى كل القارة الأوروبية إلا أن المسلمين لم يقفوا مكتوف الأيدي أمام هذه الاعتراضات وكيف وقد شامت الإرادة الإلهية أن تخفف الراية الإسلامية أمام عاصمة المسيحية روما ، وتد حانت الفرصة للمسلمين أن يقوموا بفتح أوروبا من القلب (الوسط) وثم بعد ذلك الانتشار على الجناحين الشرقي والغربي فكان غزو جزيرة صقلية فركز صائبة للانتشار منها إلى سهول أوروبا الوسطى وفي هذا المقال سنلقى الضوء على النقاط التالية :

أولاً : محاولات الغزو للجزيرة .

ثانياً : الغزو والاستقرار .

ثالثاً : الحضارة الإسلامية في الجزيرة وأثرها على النهضة الأوربية .

رابعاً : إنكسار المد الاسلامي من الجزيرة وإخراج المسلمين منها .

وجزيرة صقلية التي هي محور الدراسة تبلغ مساحتها ٢٥٨١٥ كم^٢ ويفصلها عن إيطاليا مضيق مسينا وعاصمتها بالرمو وهي أكبر جزر البحر المتوسط وأكثر سكانا وتقع بين بحر إيجه والبحر التيراني وتبعد حوالي ١٦٥ كم عن شمال أفريقيا وهي في الشكل مثلثة الاضلاع بوجه التقريب ومعظم سطحها جبلي ، وتمتاز الجزيرة بجوها اللطيف .

أولاً : محاولات الغزو :

تعتبر محاولات الغزو الأولى للجزيرة في عهد معاوية بن أبي سفيان مقدمة لفكرة الغزو من الوسط فقد بدأت المحاولة الأولى عام ٤٥ هـ وكانت في شكل غزوه مكونة من مائتي سفينة خرجت من سواحل الشام لغزو صقلية تحت إمرة عبد الله بن قيس وقد استطاع هذا القائد المسلم أن يرسى بسفنه ، وأن ينزل قواته المؤمنة برسالة رهبانها العاملة على نشرها ، أن يدحر الروم ، ولكنه قفل راجعاً بعد أن غنم مغانم كثيرة من الجزيرة ولقد قام العرب والمسلمون بعد هذه الغزوة بعدة غزوات للجزيرة ، وكانت أهم هذه الغزوات هي الغزوة التي عرفت باسم غزوة الإشراف ، وكان القائم بأمر هذه الغزوة الإسلامية بطل العروبة والاسلام موسى بن نصير القرشي وكان أن صاح في القوم ، حي على الجهاد ، حي على الاستبهاد ، فلبى القوم داعي الجهاد في سبيل الله أفواجاً ولم يبق شريف إلا واشترك في هذه الغزوة وكل منهم ركب إلى الجهاد ويحمل بفتح أوربا من القلب ، وعقد موسى لواء الغزوة الميمونة لابنه عبد الله ، فنزل عبد الله أرض صقلية يعلو صوت الله أكبر لا إله إلا الله محمد رسول الله ، على كل صوت واستطاع أن يدمر قوى الروم وأن يغنم مغانم طيبة إلا أنه لم يستطع البقاء بها وإتمام الفتح ففقل راجعاً بأسطوله إلى أرض أفريقية ، ولعل طول المسافة بين

صقلية وأفريقية (تونس) وصعوبة إرسال المدد إلى صقلية وعدم سيطرة الأسطول الإسلامي في ذلك الوقت على البحر المتوسط سيطرة كاملة جعلت موسى يعدل عن فكرة الاستقرار والغزو من صقلية مؤقتاً ويختار الأندلس لكي يفتح منها أوروبا .

ولكن رغم فتح الأندلس إلا إن المحاولات لم تنقطع عن غزو صقلية ، حتى أنه في عهد الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك ولي أمر أفريقية عبد الله بن الحبحاب ، فرأى أن يقتفى أثر موسى بن نصير وأن يدخل أوروبا من الوسط من صقلية ، فأرسل غزوة بحرية لقيت الأسطول الرومى الذى اعترضها في عرض البحر المتوسط فدارت معركة بين الأسطولين خرج منها الأسطول الرومى مهزوماً شريهزيمة إلا أن المسلمين لقوا بعض الصعوبات في محاولات الفتح ، ورجعت أساطيل المسلمين بما غنمته من الروم ، ولكن ابن الحبحاب لم يكتفى بذلك ورأى أن نتيجة المعركة لم تحقق هدفه من غزو الجزيرة ومن هنا فإنه صمم على غزوها بأية وسيلة فأرسل غزوه قوية كثيرة العدد والعدة ولم تكن المكثرة هنا بعدد ماتحملة السفن من رجاله ولكن المكثرة هنا كانت بقوة الإيمان وعزيمة الرجال الذين ذهبوا في هذه الحملة ، واختار قائداً قوى الشكيمة هو حبيب ابن أبي عبيده بن عقبة بن نافع ومعه ابنه عبد الله وكان ذلك عام ١٢٥ هـ ونزل رجال الأسطول أرض صقلية ولقن الروم درساً لن ينسى وعرفهم معنى القوة الروحية التى يتمتع بها المقاتل المسلم ، ومن ثم فقد طاب الروم الصلح ولكن حبيباً وابنه عبد الله كانا قد عقد العزم على البقاء بالجزيرة وكان قد تيسر لهم الاستقرار بعد أن سيطروا على معظم الجزيرة واستولوا على كثير من مدنها ولكن قيام ثورة البربر وكانت فتنة عمياء جعلت حبيباً يفكر فى العودة إلى أفريقية في وقت كانت الظروف السياسية في أوروبا تساعد على القفز إلى إيطاليا والتوغل في سهول أوروبا الوسطى ولكنهما رجعا على مضض .

وفي عهد الولى عبد الرحمن الفهرى ، أعاد عبد الله بن حبيب غزو الجزيرة وكان قد خبرها ، وعرف مسالكها وطرقها ولكن الروم كانوا قد حصنها وأقاموا عدداً من الحصون والقلاع والأبراج في الأماكن التى اعتاد المسلمين النزول فيها ، إلا أن عزيمة الإيمان استطاعت أن تقهر الروم رغم الصعوبات

التي قابلت المسلمين واكتفى بعبد الله بالصاح وعاد محملاً بالغنائم التي استولى عليها، ويبدو أن هناك ظروفًا حالت للمرة الثانية دون بقاءه بالجزيرة، وقد يكون الغرض الأساسي من هذه الحملة هو إظهار القوة البحرية الإسلامية للروم وأن المسلمين قادرين على الإغارة على الجزر المسيحية ونقل ميدان القتال إلى الأرض الأوربية وتحذير الروم من التفكير في مهاجمة المدن الإسلامية التي تقع على الساحل الأفريقي.

ثانياً : الغزو والاستقرار :

وكان لما استقام الأمر لبني الأغلب في تونس وتوطد لهم الملك والسلطان أن عقد ثالث أمرائهم العزم على الجهاد في سبيل الله ورفع رسالة الاسلام خفاة عالية فوق أديم صقلية، ولقد اهتم إبراهيم بن الأغلب بإنشاء الأساطيل لمد النفوذ الأغلبى عبر البحر المتوسط ومن ناحية أخرى فقد بات واضحاً أن القسطنطينية لم يعد لها القدرة أو القوة السكافية لصد غارات المسلمين على جزيرة صقلية أو استعادة جزيرة كريت أو حماية جزر بحر إيجه والسواحل التي تعرضت لغارات المسلمين بصفة مستمرة ولقد كانت الظروف التي تحيط بالأغلبة تحتم عليهم إعداد جيش قوى وأن يهتموا ببناء الأساطيل وإعداد القوات البحرية حتى يمكن تنفيذ مخططهم الذي كان يرمى إلى فرض سيادتهم على الحوض الأوسط للبحر المتوسط وذلك جهاداً في سبيل الله، كذلك لحماية وجودهم ومصالحهم في حوض البحر المتوسط فعملوا على إعادة بناء أسطولهم في شمالي أفريقيا، وبعد فترة أصبح لديهم أسطول قوى يستطيع مواصلة الفتوحات الإسلامية في الحوضين الأوسط والغربي وكانت صقلية هدف الأغلبة وكان الروم قد استولوا على بعض سفن المسلمين في البحر المتوسط وأخذوا من بها أسرى إلى صقلية وبذلك تكاثرت عدد الأسرى المسلمين لدى الروم، فعقد زيادة الله الأغلبى إتفاقاً مع حاكم الجزيرة، تعهد فيه الأخير بإرجاع الأسرى المسلمين إلى أفريقيا، ولكن الحاكم الرومى لم يوفى بعهده وبما وعد به من إطلاق الأسرى المسلمين، وحدث أن قامت ثورة بالجزيرة وأدت هذه الثورة إلى حدوث أنقسام بين أمراء الجزيرة لجأ فيه أحد الثائرين واسمه فيمى

إلى زيادة الله الأغلب ومنه عرف الأمير الأغلب بوجود أعداد كبيرة من الأسرى المسلمين بالجزيرة فأعلن الأمير زيادة الله حن على الجهاد ، حن على نشر الدين الإسلامى الحنيف وتحقيق حلم الأجداد فى شق القارة الأوربية من القلب .

وعقد لواء الغزوة المباركة إلى وزيرة العالم الفقية رجل الدين والفتوى ، أسد بن الفرات وكان قد جاوز السبعين عاماً من عمره ولكن قوة إيمانه جعلته يبدو فى سن الشباب والرجولة وكان القاضى أسد بن الفرات ، قد طلب من زيادة الله الأغلب الإذن له بالخروج صحبة الجند الإسلامى حتى ينال شرف الجهاد ، أو شرف الاستشهاد فى سبيل الله ، فلبى زيادة الله طلب القاضى وأولاه إمارة الجيش الفاتح المتوجه إلى الغزو فى صقلية .

وأمر زيادة الله أن يخرج الجند الإسلامى حاملاً راية لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وأقلع الأسطول الأغلبى فى ربيع الأول ٨٢٧ م ووصل الأسطول المكون من سبعين سفينة حربية تحمل عشرة آلاف مقاتل وسبعمائة فارس ، إلى أرض الجزيرة ، بعد ثلاثة أيام من الإبحار المتواصل ليل نهار فى عرض البحر ، ونزل العرب عند مازر ، واستطاع المسلمون أن يحرزوا انتصار سريعاً على الروم ثم تقدموا نحو سرقوسة ومنها زحفوا إلى العاصمة بالرمو فحاصروها حصاراً طويلاً حتى فتحوها واتخذوها قاعدة حربية لمواصلة فتح أنحاء الجزيرة والاستيلاء على القلاع والحصون الرومية التى فر منها الجند الرومى من وجه الجيش الإسلامى وتحصن بها ولكن منذ ذلك الوقت فإن صقلية دانت للإسلام والعروبة ونستطيع القول أنها أصبحت جزءاً من العالم الإسلامى الكبير ، بعد أن كانت تخضع لسيطرة الروم . وبسقوط بالرمو . فإن نفوذ العرب والمسلمين قد تمكن من الجزيرة ، وليس أدل على حماس المسلمين وغيرتهم على نشر دينهم فى تلك الجزيرة ، من أنهم اتخذوا مما فعله طارق بن زياد حين غزا الأندلس من إحراق السفن التى ترسوا عليها حتى لا يفسكروا فى العودة من حيث أقوم ، مثلاً رائئاً لهم فقام القائد المسلم المجاهد محمد بن أبى الجوارى والذى خلف أسد بن الفرات فى قيادة الغزوة الميمونة بإحراق سفن الأسطول عن آخرها وذلك حتى يعمل المسلمون

على الاستقرار النهائي بالجزيرة وكانت هذه الفعلة عملاً رائعاً في ازدياد حماس المناضلين في سبيل الله ، فصمموا جميعاً على البقاء في الجزيرة ومواصلة الجهاد حتى يتم لهم تحرير كل الجزيرة من رجس الكفار وأخذوا في غزو باقي الأجزاء التي لم تخضع لهم وبذلك تمت لهم السيطرة الكاملة على الجزيرة بمرور الزمن ، وإن كانت هناك بعض المدن التي لم تسقط في أيدي المسلمين إلا بعد عشر سنوات منذ بداية استقرارهم بالجزيرة مثل دقيصريانه ، ولكن في النهاية خضعت كل المدن والقرى التي انطوت جميعها تحت راية التوحيد راية لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ولم يكن فتح صقلية ميسوراً بل كان يكتنفه كثيراً من الصعاب والعقبات خاصة وأن المرابا التي اتجهت للجزيرة من قبل لمبتداء من ٢٢٢ هـ / ٦٥٢ م حتى حملة ١٩٧ هـ / ٨١٤ م نبهت الروم إلى المناطق التي يرمى المسلمون إلى السيطرة عليها في البحر المتوسط فأعدوا للأمر عدته وحصنوا الجزيرة وجعلوا منها قاعدة أمامية وصارت سفنهم تخرج كل عام لتطوف بالجزيرة فضلاً عن مراقبتهم تحركات أسطول الأغالبة وأساطيل سوريا ومصر في شرق البحر المتوسط وأسطول الأمويين في لاندلس . ولقد كانت سياسة بينظية من العوامل التي أدت إلى قيام ثورة دقيمين ، قائد الأسطول البينظي في هذه الجزيرة وكان هو الذي حرص الأغالبة على دخول الجزيرة وفتحها ، وهكذا كانت الظروف مواتية للأغالبة لتنفيذ خطة فتح الجزيرة . ولقد كان فتح الجزيرة مقبلاً بطابع الجهاد في سبيل الله وأن تخطيط الفتح والتفكير فيه كان بفعل أسد بن الفرات قاضي القضاة .

كذلك فإن بينظية لم توجه جهوداً كبيرة للدفاع عن الجزيرة إلا بمقدار ما كانت تسمح به مشا كلها الداخلية نظراً للضغط الواقع على حدودها في آسيا الصغرى وفتح صقلية أصبح جنوب إيطاليا مهدداً من ناحية الأغالبة ولعل هذا ما حمل نابلي على التحالف مع الأغالبة وبالإنهاء من السيطرة على كل صقلية فإن هذا النصر يعد دليلاً قوياً على ما وصلت إليه كفاءة الأسطول الأغالبي الذي وقف أمام أسطول البينظيين ، ويعتبر فتح صقلية من الأحداث الهامة في تاريخ البحرية الإسلامية في البحر المتوسط إذ صارت سيادة الحوض الأوسط فيه في يد الأغالبة . وكانت تدعمهم قوة بحرية إسلامية في الغرب تتمثل في الأسطول الأندلسي الذي ساند

في فتح الجزيرة واستطاع أسطول الأغالبة أن يتخذ من هذه الجزيرة قاعدة لهم للقفز منها على جنوب إيطاليا وفتح أوروبا .

وقد حكم المسلمون الجزيرة فترة تزيد عن مائتين وثلاثة وثلاثون عاما كانوا هم سادة الجزيرة وحكامها والعاملين على نشر رسالتهم بين أهلها وتوالى الحكم المسلمون في هذه الفترة على حكم الجزيرة فترة خلال الحكم الأغلبى وفترة أخرى خضعت تونس للدولة الفاطمية فأثت الجزيرة بدورها للدولة الفاطمية سواء في المهدية أو للقاهرة ، وكان الأهالى لما علوا بانتصار أبى عبد الله الشيعى على الأغالبة ثاروا على واليهم وطلبوا وضع أنفسهم تحت سيادة الفاطميين ، ولقد حدث في جزيرة صقلية بعد انتقال الحكم من الأغالبة إلى الفاطميين فترة من الفتن والشقاق وقد يكون ذلك سبب ميل مسلمى صقلية إلى المذهب السنى والخلافة العباسية ولقد كانت الدولة الفاطمية شديدة الحرص على الاحتفاظ بنفوذها قويا في الجزيرة وذلك لعدة أسباب منها أن الذى يسيطر على صقلية يتحكم فى شرق وغرب البحر المتوسط ويكون له النفوذ القوى فى البحر المتوسط كله وقد أدت الخلافات العقائدية إلى ضياع الجزيرة من أيدي المسلمين ، ولكن بوجه عام لم يكن المد الاسلامى فى الجزيرة إلا طوفانا حضارياً جارفاً صبغ الجزيرة بالصبغة الإسلامية العربية وترك الاسلام وثقافته الراقية جذورة القوية الراسخة حتى بعد أن تخلص الكفرة من مسلمى الجزيرة .

ثالثا : الحضارة الاسلامية بالجزيرة :

توالى المسلمون من عرب وبربر وغيرهم من الأجناس الأخرى على الجزيرة للفتح والاستقرار ومن ثم أخذوا يفتشرون حضارتهم الإسلامية ، فبنوا بها القرى والمدن والقلاع والحصون وعمرؤا أرضها وأحيوا بساكنها وفلحوا أرضها وأقاموا القناطر والسكبارى والسدود وأسسوا المدارس والمساجد والمستشفيات التى مارست دورها فى نشر الحضارة العربية الإسلامية ، وأنشأوا وأدخلوا بها صناعات كانت مجهولة فى أوروبا وأدخلوا كثيرا من الزراعات التى لم تكن معروفة بالجزيرة من قبل بل فى كل أوروبا مثل أشجار الزيتون والنخيل والليمون والبرتقال وقصب السكر ، وكان المسلمون السبب فى ازدهار الجزيرة وفى تمدنها ، فكثبوا

بذلك صفحة حافلة بالإنجاد والأعمال الطيبة وتركوها على أرض الجزيرة ومنها استطاع الأوربيون أن ينهلوا من معين الحضارة العربية الإسلامية وأن يرتوا من ثمار فكرها المتطور الذى كان سبباً في رقى أوربا ومحضرها .

ولقد كانت المبانى الضخمة والفخمة الرائعة الفن والجمال أفر من آثارهم الحضارية الراقية في صقلية ، كذلك كان مسلبوا الجزيرة شديدي الحواس لدينهم الإسلامى الخفيف فعملوا على نشره بين الأقوام النصرانى من سكان الجزيرة أو القادمين إليها من البلاد الأخرى للتجارة والتبادل ، وظهروا تمسكاً بدينهم واعتزوا به وليس أدل على ذلك مما ذكره ابن حوقل في كتابه المسالك والممالك عن عاصمة صقلية بالرمو من أنه من شاهد بها أكثر من ٣٠٠ مسجد ويستشهد على ذلك بقوله بأنه كان واقفاً بجوار منزل أبى محمد الفقيه وقاضى العاصمة فشاهد من مسجده بمقدار رمية سهم أكثر من عشرة مساجد يدركها بصره وسأل عن هذه المساجد فقليل له إن القوم هنا يحب كل واحد منهم أن يكون له مسجداً مقصوراً عليه وحاشيته وأسرته وكان القوم يتخذونها أماكن ليتفقهوا بها ، ويدرسوا بها علومهم الإسلامية وكانت هذه المساجد آية من آيات الفن الإسلامى وصارت العاصمة بالرمو في العهد الإسلامى مركزاً من مراكز الحضارة والتقدم والرقى في البحر الأبيض المتوسط وارتفعت مكانتها العلمية والحضارية وصناعاتها وعلومها إلى مصاف العواصم الإسلامية الأخرى كجنداد والقاهرة ودمشق وتونس وقرطبة والقيروان وغيرها عن العواصم الإسلامية في ذلك الوقت وكانت فترة الوجود الإسلامى بصقلية من أزهى أيام الجزيرة وأكثرها أمناً واستقراراً وعمراناً ، والحديث عن هذه المظاهر الحضارية الإسلامية بالجزيرة بالتفصيل سوف نقنأه في الفصل الرابع من هذا الكتاب . ولكن يمكن القول أن العرب والمسلمين أقاموا نظاماً أو نظاماً إدارياً لم يكن معروفاً من قبل بالجزيرة ، وكان المسلمون هم أول من أدخل هذا النظام إلى الجزيرة . وقد عاد هذا النظام على المسلمين وسكان البلاد بالفائدة المرجوة إذا ضمن الأمن والاستقرار ، وسارت الأمور في البلاد وشئون الحكم على أحسن وجه وعلى خير ما يرام ، كذلك أدخل المسلمون نظامهم القضائى الإسلامى القائم على الشريعة الإسلامية الفراء ، والحكم بما أنزل الله في قرآنه الكريم والسنة

التبوية الشريفة وانتشر بين السكان المذهب المالكي وهو المذهب الذى كان سائدا فى شمال أفريقيا قبل ظهور الفاطميين على مسرح السياسة العربية الإسلامية فى شمال أفريقيا وقبل خضوع صقلية للحكم الشيعة ، وحتى بعد أن آلت الجزيرة لحكمهم لم يكن أنصار المذهب الشيعة بين السكان إلا أقلية قليلة وربما تكون قد أخذت بهذا المذهب قبل حضورها إلى الجزيرة .

وكذلك نظم المسلمون الجباية والديوان وسكوا العملة الإسلامية الذهبية والفضية والنحاسية وأنشأوا مدرسة لتعليم الطب وقام بالتدريس فيها أكبر الأطباء العرب وأشهرهم ومن مدرسة الطب فى صقلية انتقل علم الطب العربى إلى إيطاليا ومنها إلى باقى دول أوروبا ، كذلك أدخلوا الصناعات التى لم تكن معروفة من قبل وبذلك تقدمت الصناعة وازدهرت بها وكان العرب والمسلمين هم السبب المباشر فى إدخال صناعة الورق إلى صقلية ومنها انتقل إلى إيطاليا وبعد ذلك عرفته أوروبا عن طريق صقلية واستخرجوا المعادن من باطن الأرض كالفضة والحديد والنحاس والكبريت وأدخلوا صناعة الحرير وفن صباغة الملابس والأثواب ومن صقلية انتقل هذا الفن إلى أوروبا . .

واتسع نطاق التجارة وتاجرت الجزيرة مع بلاد الشمال الأفريقى ومع مصر والشام وجزر البحر المتوسط التى كانت كلها تدين بالإسلام فى ذلك الوقت وتخضع للهدم الإسلامى ، وتبادلت السلع والمنتجات مع الأندلس وجنوب إيطاليا وفرنسا وسويسرا وغيرها من المدن الإيطالية وألمانيا وباقى بلاد أوروبا . ولقد كانت المدارس التى قامت بصقلية ذات فضل عظيم على الحضارة الأوروبية إذا عن طريق هذه المدارس وما كان يدرس بها من علوم إلى جانب العلوم الدينية سبباً فى ازدهار ما نراه اليوم من حضارة مادية فى أوروبا وكذلك لا يستطيع أن ينكر الدور الذى لعبته صقلية وعلمائها المسلمون أى باحث أو دارس للتاريخ الإسلامى فى تلك المنطقة من البحر المتوسط إذ أن صقلية لعبت دوراً بارزاً وهاماً لا يقل عن دور الأندلس فى نقل الحضارة الإسلامية العربية إلى أوروبا إذ عن طريق إيطاليا وصقلية انتقلت الحضارة الإسلامية والتى كانت سبباً مباشراً فى ظهور عصر النهضة الأوروبية فى العصور الوسطى والذى كان مقدمة للتطور الحضارى الهائل

الذى ينعم به العالم اليوم ، كذلك فإن صقلية كانت إحدى ثلاث معاير عبرت منها الحضارة العربية الإسلامية إلى أوروبا .

رابعا : انكسار المد الاسلامى عن الجزيرة واخراج المسلمين منها :

لقد توالى على حكم الجزيرة حكام بن الأغلب ثم جاء بعدهم حكام الفواطم وكل منهم كان يعمل ماوسعه العمل لتوسيع رقعة الاسلام وترسيخها في الجزيرة والجنوب الايطالى واسكن في عهد الامير أحمد بن الحسن بن على حدثت معركة عظيمة بين الروم والمسلمين اندحر فيها الروم اندحاراً عظيماً وخسروا المعركة وأسر المسلمون أعداداً كبيرة من الروم ولكن عظماء الروم سمعوا إلى بلاد الخليفة الفاطمى بالقاهرة طبعاً للصلح وكان من بين وفد الصلح الذى ذهب للقاهرة شقيق إحدى المقربات للخليفة (جاريات القصر) والى كانت نعم في قصر الخليفة واستغل أخوها والذى كان أحد رجال الدين المسيحيين موقعها من الخليفة واستطاع أن يحصل على مكاسب للنصارى ، وتم الصلح بين المسلمين والروم في الجزيرة ، ولكن وقع المسلمون في غلطة سياسية كبيرة كانت هي بداية النهاية لىكى يتمكن النصارى من الجزيرة إذ بمقتضى هذا الصلح والذى كان قد تم في ديوان الخليفة الفاطمى بالقاهرة يخلى المسلمين مدينتى رمطة وطبرين في شرق الجزيرة للروم وعلى الرغم من مطاولة الامير أحمد بن الحسن في تنفيذ قرار الخليفة وقيامه بهدم المدينة وتسليمها أنقاض للنصارى إلا أن هذا كان بداية الاستقرار مرة أخرى للنصارى إذ استطاعوا بعد ذلك أن ينزلقوا من هذه الأماكن لمحاربة المسلمين ، وبعد ذلك استطاعوا أن يدحروا المسلمين بعد أن شغل هؤلاء بالخلافات المذهبية والعرقية فيما بينهم وبعد أن لعبت الفتن والدسائس لعبتها بين المسلمين وتفرق المسلمون شيعة وأحزاباً وتطاحنوا فيما بينهم على السلطة ، واستطاع الملك النورمانى ، لإدجار الأول ، الزحف بقواته إلى الجزيرة وأن يأنى على حكم المسلمين بها ، وأن يقضى على نفوذهم السياسى بها ، وأن يقيم دولة النورمان بالجزيرة ، ولكن نفوذ المسلمين اخضارى والعلمى والثقافى استمر قائماً بالجزيرة بعد ذلك أكثر من مائة واثنين وعشرين عاماً أخرى كان المسلمون فيها هم أصحاب السكينة العليا في ديوان الملك رديجار الأول وابنه رديجار الثانى وكانوا هم قادة

الجيش والبحرية والأسطول ورؤساء البلاط الملكي واستمر نفوذهم وازداد وجودهم بل وزادت قوتهم ونفوذهم أكثر في عهد الملك رديجار الثاني ، حتى أن بابا روما اتهمه بأنه قد اعتنق الاسلام وأنه صار موالي للمسلمين ولكن في عهد الامبراطور فريدرش الثاني ، امبراطور ألمانيا وملك صقلية ، ازدادت حركة اضطهاد المسلمين ورفع بابا روما راية اضطهاد المسلمين وفكرة الحروب الصليبية ضد المسلمين وانتزع بيت المقدس من أيديهم ولإزاء ذلك أصبح المسلمون يغادرون الجزيرة جماعات وأفراد كلما وجدوا سبيلا للخروج فلم يبق منهم هناك إلا القليل الذين يعيشون في ذلة ومسكنة ، وجاء بعد فريدرش الثاني ، الملك شارل دأنجو فعمد إلى التخلص من المسلمين ، فأركب الكثير منهم إلى أفريقيا عام ١٢٩٢م بعد أن أقاموا بالجزيرة فترة تزيد عن ٢٦ سنة نشروا فيها لواء العدل والسلام والحضارة .

كيف استولى النورمان على الجزيرة :

أما عن النورماندين فإنهم وقفوا على الاضطرابات التي سادت صقلية واستغلوا فرصة الخلاف بين الرعية وحاكم الجزيرة وكانت فرصة ذهبية لهم لغزو الجزيرة والاستيلاء عليها واستمرت الحرب مستعرة بينهم وبين مسلمي صقلية مما اضطر المسلمون إلى التخلي عنها وقد بدأ الغزو النورماندي عام ١٠٦٠ هـ / ١٠٦٠ م وسقطت مدينتاهم سقطت بالرم ١٠٦٣ هـ / ١٠٧١ م ، ثم سرقوسه ١٠٧٨ هـ / ١٠٨٥ م وفي عام ١٠٨٣ هـ / ١٠٩٠ م تمكن روجر من السيطرة على جزيرة مالطة وفي العام التالي ١٠٨٤ هـ / ١٠٩١ م استطاع روجر أن يستولى على باقي الجزيرة ، ولقد ظل المسلمون يقاومون النورماندين فترة تزيد عن ٣٣ سنة .

ولقد نتج عن فتح النورماندين للجزيرة إن أصبحت السفن الأوربية التجارية الصادرة منها والواردة إليها تعبر بحملة بالبضائع في البحر المتوسط آمنة من أي خطر يهددها من قبل المسلمين وذلك بعد أن جاءت نهاية السيادة الإسلامية على جزيرة صقلية في أواخر القرن الحادي عشر على أيدي النورمان ، والنورمان غزاة جدد على أوروبا منذ القرن التاسع الميلادي وقد تزعموا حركة الفتح في جنوب إيطاليا

وصقلية وشجعهم على ذلك التنافس والانقسام بين مسلمي صقلية وقد تظاهر النورمان في أول الأمر أنهم يعملون على إعادة البلاد للبابا ، لكنهم كانوا في حقيقة الأمر يسعون لتأسيس ملك سياسي لهم ، والواقع أن النورمان كانوا يتطلعون للاستيلاء على جزيرة صقلية لخصبها وثروتها ولضعف المسلمين بها لذا أن حكام الجزيرة المسلمين كانوا في صراع وتنافس حتى أن أحد الأمراء المسلمين استعان بالنورمان في صراعه الداخلي مع بعض أمراء المدن الأخرى وذلك مما سهل للنورمان مهمة فتح صقلية ورغم أن محاولة عبور مضيق مسينا الفاصل بين الجزيرة وإيطاليا يعتبر مخاطرة كبرى لوجود الأسطول الإسلامي إلا أن النورمان نجحوا في عام ١٠٦١ م في الاستيلاء على مسينا ومن ثم وضعوا أقدامهم على الجزيرة ثم بعد ذلك أخذوا يتقدمون لفتح باقي أجزاء المدينة وقد تم لهم ما أرادوا .

ولقد خضعت جزيرة صقلية للمد الإسلامي في فترة كانت القوى الإسلامية الأخرى في العالم الإسلامي في صراع وتنافس فيما بينها وهكذا كان الانقسام سبباً في ضياع أرض إسلامية كم كانت الأمة الإسلامية في أشد الحاجة إليها لكي تتوسع بها رفعة العالم الإسلامي .

وبذلك طويت صفحة من صفحات النضال الإسلامي الطويل من أجل العقيدة الإسلامية ومن أجل نشرها في جزيرة صقلية ولقد كانت الفتن والدسائس والأغراض الشخصية والخلافات المذهبية سبباً في ضياع صقلية وفي ضياع غيرها من الجزر الإسلامية في البحر المتوسط وكثير من الأراضي الإسلامية في أوروبا (الاندلس) جنوب فرنسا ، جنوب إيطاليا ، سويسرا .

الإسلام والثقافة العربية في جزيرة كريت

لقد كان لانتشار الإسلام خارج الجزيرة العربية أثر فعال في تغيير مجرى الأحداث في حوض البحر المتوسط إذ أن انبثاؤه مدينة الإسكندرية بمصر تحت راية الإسلام في ٥٢١ / ٦٤١ م وانتشار الإسلام في مصر وفي الأقطار الواقعة شرق البحر المتوسط ، سوريا وفلسطين وشمال أفريقيا ، قد خلق وعياً إسلامياً قوياً ورغبة في نشر الرسالة المحمدية في أرض جديدة فبعد أن استقر العرب والمسلمون في هذه الأقطار ، كان عليهم أن يدافعوا عما كسبت أيديهم ، بعد أن تمكنوا من زمام البر وشواطئ البحر المتوسط ، كان لابد لهم من السيطرة على زمام البحر ولكن زمام البحر في ذلك الوقت كان في يد البيزنطة ولم يبدء العرب أهمية بالبحر بادئ الأمر ، وإن كان معاوية بن أبي سفيان وإل الشام قد أرسل للخليفة الراشد الثاني عمر بن الخطاب ، يستأذنه القيام بغزو قبرص ولكن الخليفة عمر كتب إلى عمرو بن العاص وإلى مصر ، يسأله عن البحر وأحواله فردوا صفاً له البحر وما فيه ، وعدم معرفة العرب في ذلك الوقت بفن القتال البحري وبذلك لم يسمح عمر لمعاوية بالغزو في البحر المتوسط ، ولكن العرب لم يدر كوا عواقب الخطر البحري إلا في عام ٥٢٥ / ٦٤٥ م عندما قام الأسطول البيزنطي بحملة بحرية قوية على شواطئ مصر واستطاعت هذه الحملة أن تسترد مدينة الإسكندرية من أيدي المسلمين ، وكان على المسلمين أن يناضلوا ويقاتلوا في سبيل الله وفي سبيل إعلاء كلمته ، وفي سبيل إجلاء البيزنطيين . قتالاً عنيفاً حتى يتم طرد البيزنطيين من الإسكندرية وتحرير الأراضي الإسلامية منهم ، وقد استطاعوا بما ملأوا من قوة الإيمان وعزيمة الرجال أن يتمكنوا من طرد البيزنطيين من مصر ، ومن هنا فقد وجد المسلمون أنفسهم في حاجة للدفاع عن الفتوحات الإسلامية ولم يكن يتحقق ذلك إلا بالسيطرة على البحر .

وفي عهد الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان ، أعاد معاوية بن أبي سفيان ، طلب إنشاء الأسطول العربي الإسلامي والسماح للعرب والمسلمين بالتطوع في الخدمة البحرية ، وبالموافقة على إنشاء الأسطول الإسلامي بدأت تدب حركة غير عادية

في الموانئ الإسلامية وذلك بالاستعداد لبناء السفن الحربية ، وتدريب العرب على فن القتال البحري وذلك انطلاقاً من مبدأ نشر العقيدة الإسلامية السمحة في كل بقاع الأرض المعمورة ، وتأمين الأراضي التي قوى فيها الإسلام ورسخت قواعده وإيجاد قواعد أمامية في عرض البحر المتوسط للانطلاق منها لغزو القارة الأوربية لنشر الدين الاسلامي بين أرجائها ، وكان أول عمل قام به الأسطول الاسلامي في مياه البحر المتوسط هو الاستيلاء على جزيرة قبرص وذلك لتأمين الحماية للشواطئ السورية من الغارات المتوقعة من البيزنطيين وكانت أول حلقة في سلسلة الانتصارات البحرية التي أحرزها العرب والمسلمون في البحر المتوسط ، وبذلك ضمن المسلمون تأمين الشواطئ السورية من غارات البيزنطيين ، وبعد هذا النصر كان لابد من ضمان حماية الشواطئ المصرية ، وشواطئ شمال أفريقيا ، فبدأ التفكير في غزو الجزر التي تواجه هذه الشواطئ وكانت كريت تواجه الشواطئ المصرية وصقلية تواجه شواطئ شمال القارة الافريقية .

ومن هنا فإن موضوع الإسلام والثقافة العربية في جزيرة كريت هو صفحة مشرقة وغر من تاريخ حافل بالأجداد للأسلاف الذين فتحوا هذه الجزيرة ونشروا الاسلام بين أرجائها وسطروا بدمائهم الذكية أروع آيات التضحية والاستشهاد في سبيل نشر رسالة لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وفي رفع راية الإسلام فوقها والاستعداد لرفعها على كل القارة الأوربية ، فهم قوم قهروا في سبيل الله وفي سبيل إعلاء كلمته ونصره دينه أعظم المالك بقوة إيمانهم ورسوخ عقيدتهم ومثانة سواعدهم وضربات سيوفهم وشدة شكيמתهم على كل معترض في سبيل نشر الدين الاسلامي الخفيف ، فقد كان رائدهم في فتح الجزيرة ، نكران الذات والتضحية بالنفس والاستشهاد في سبيل الله ونصرة دينه وسأحاول في هذه الدراسة إلقاء الضوء على النقاط الآتية :

أولاً : محاولات الغزو للسيطرة على الجزيرة .

ثانياً : الغز والاستقرار .

ثالثاً : أهمية السيطرة على الجزيرة .

رابعاً : الحضارة الاسلامية بالجزيرة .

خامساً : انحسار المد الاسلامى عن الجزيرة وخروج المسلمين منها .

وكريت التى هي محور الدراسة أطلق العرب عليها اسم أقریطش بعد فتحها واستمر هذا الاسم مستخدماً فترة طويلة ولـسكن قابت أقریطش إلى كريت ، (انظر أقریطش دائرة المعارف الاسلامية ، البلاذرى ، أقریطش ، فتوح البلدان ، ابن خلدون ، تاريخه) وهى أكبر جزر اليونان ٨٣٨٠ كم ، وتقع فى شرق البحر المتوسط على بعد نحو ٩٦ كيلو متر من بلاد اليونان عاصمتها كانيا تمتد نحو ٢٥٧ كم من الشرق للغرب وتعتبر الحد الجنوبى لبحر إيجه وأكبر مدنها كانديا وكريت جزيرة جبلية إلى درجة كبيرة ترتفع إلى حوالى ٢٤٥٨ م فى جنل ايدى ، من محصولها زيت الزيتون ، الفواكه ، الخضروات ، السكروم ورغم أهمية كريت باعتبارها مركزاً تجارياً مام إلا أنها لم تلعب دوراً هاماً فى التاريخ السياسى لليونان القديمة .

اولاً : محاولات الغزو والسيطرة على الجزيرة :

بعد أن قويت شوكة الاسطول الاسلامى على أثر هزيمة البيزنطيين فى معركة ذات الصواري ، وظهور الاسطول الاسلامى بظهور القوة أمام الاسطول البيزنطى بعد أن وضعت معركة ذات الصواري حداً فاصلاً لسياسة الروم البحرية لآزاء العرب والمسلمين ، وبعد أن تم للعرب وضع أيديهم على جزيرة قبرص ، فسكروا فى السيطرة على جزيرة كريت وذلك لأهمية موقعها بالنسبة للأسطول العربى الاسلامى واستراتيجية نشر الاسلام فى وسط القارة الأوربية ، فهى تقع فى قلب البحر المتوسط ، وتتوسط القارات الثلاث أوروبا ، آسيا ، أفريقيا ، وتكاد تتساوى فى البعد عنهما كما تعد نافذة لما يجاورها من ممالك فى هذا البحر ومقدمة للدفاع عن الشواطىء المصرية لأنها فى مقابلة الاسكندرية وذكرها ابن خلدون فقال أقریطش من جزر بحر الروم ما بين صقلية وقبرص وهى فى مقابلة مدينة الاسكندرية بمصر ، وهكذا فى خلافة الوليد بن عبد الملك أراد المسلمون أن يقوموا بغزو جزيرة بالقرب من القسطنطينية ، عاصمة الدولة البيزنطية فأقر

جنادة بن أبي أمية فتح جزيرة كريت (اقريطش) وذلك لقربها من عاصمة الدولة البيزنطية ففتح بعض أجزائها بعد قتال مرير مع البيزنطيين نظراً للاستحكامات والقلاع والحصون التي كان قد أقامها البيزنطيون بالجزيرة وذلك لأهمية الجزيرة لمن يسيطر عليها ولكنه عاد ولم يتمكن من إتمام فتحها ، بعد أن عرف فقط الضعف في وسائل الدفاع عنها وخبر مسالكها ورغم عدم تمكن المسلمون من السيطرة على الجزيرة إلا أنهم لم يغفلوا عن تحين الفرصة وإيجاد السبيل لفتحها فوزع راية الاسلام فوقها ، حتى جاءت الفرصة المواتية في خلافة هارون الرشيد والذي اتسعت الدولة الاسلامية في عهد اتساعا عظيما ورفرت راية الاسلام على أجزاء من المعمورة لم تكن قد بلغت من قبل ، وكان في عهده أن قام أحد قواد المسلمين الذين خبروا بحر الروم وهو حميد بن معتوق الحمداني بغزو الجزيرة واستطاع أن يسيطر عليها ولكن هذه السيطرة كانت سيطرة وقتية إذ سرعان ما عاد الأسطول الاسلامي من حيث أتى ، ولم نعلم عن هذا العهد الذي سيطر فيه المسلمون على جزيرة كريت إلا القليل إذا لم يذكر أحد من كتاب المسلمين شيئا عن الفترة التي مكثها المسلمون في الجزيرة بعد سيطرتهم عليها وإن كانت غارات المسلمين والعرب لم تنقطع في عهد الخليفة هارون الرشيد بل تكاد تكون منتظمة سنويا في البر والبحر ولا سيما الإغارة على الجزر الواقعة في البحر المتوسط وعلى شواطئ أوروبا الجنوبية المطلة على البحر المتوسط .

ثانيا : الغزو والاستقرار :

ولقد ظل الحال على ذلك حتى ولى المأمون الخلافة (١٩٨ - ٨١٣/٨٢١٨ - ٨١٣) وفي عهد تم فتح هذه الجزيرة على يد قوم من مهاجري الأندلس ، وبعد دخول هؤلاء الأندلسيين جزيرة كريت وفتحهم لها واستقرارهم بها دليلا على نشاط الجماعات الاسلامية التي كانت تعمل في مياه البحر المتوسط ولكن ما أن طلع القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) حتى أخذت الأمور تتغير في حوض البحر المتوسط ، فقد فقدت بزنطة سيطرتها على البحر وانكسرت أسطوطها أمام الأساطيل الاسلامية التي أخذت في الظهور في البحر المتوسط بل أخذت تقوى وتزداد قوتها ومنها أسطول مصر وسوريا وشمال أفريقيا والأندلس .

وقصة الفتح والاستقرار في الجزيرة قصة طريفة كما ترونها كتب التاريخ الاسلامي وتبدأ القصة بأنه قامت في الأندلس في عهد الحكم بن هشام (١٨٠ - ٢٠٦ / ٧٩٦ - ٨٢٢ م) المنتصر أمير الأندلس ثورة قام بها بعض العرب من أهل الربض والذي عرف هذا بالتمرد فيما بعد بالحكم الربضي بالقرب من قرطبة عام ١٩٨ هـ - ٨١٦ م ولكن الحكم هزم الثوار وفرق شملهم ثم أمر بديارهم فهدمت فخرج هؤلاء القوم إلى مختلف الأنحاء فهاجر بعضهم إلى المغرب ، ونزلوا بفاس وغيرها من مدن المغرب ووصل بعضهم إلى مصر وكان عدد الذين وصلوا إلى الديار المصرية خمسة عشرة ألف ما عدا النساء والأطفال ويظهر أن هؤلاء اللاجئين قد وصلوا بأسطولهم إلى مصر دون أن يعترض في طريقهم أحد من البيزنطيين أو العباسيين ، وبلغ أكثرهم مدينة الاسكندرية واستقروا بها ولم تقاوم مصر نزولهم بها وكان ذلك عام ١٩٩ هـ ٨١٤ م وتحالفوا مع قبيلة من عرب أفريقيا على حمايتهم إذا تمكنوا من المدينة واستقروا بها فترة من الزمن تقدرها كتب التاريخ بعشرة أعوام واتخذوها قاعدة لغاراتهم وحملاتهم على جزر البحر المتوسط وخاصة جزر بحر الارخبيل .

ولكن الظروف السياسية في مصر تغيرت ، إذ قدم إليها عبد الله بن طاهر قائد الخليفة المأمون ليقمع ثورة قام بها سكان مصر ضد الخلافة العباسية ، وكان أهل الأندلس قد شاركوا في تلك الثورة فطالب منهم قائد الخليفة المأمون الرحيل من الاسكندرية على أن يمدهم بالسفن اللازمة لهم وأن يسبل لهم الحصول على السلاح والمؤن والزاد وكل ما يلزم لهم على أن يتوجهوا للغزو في سبيل الله وكسب أرض جديدة للإسلام لكي يستقروا بها . فصمم هؤلاء القوم على الخروج في سبيل الله وعقدوا العزم على الوصول إلى جزيرة كريت وذلك لأن جماعة من عرب الأندلس ، كانت قد أغارت على الجزيرة قبل ذلك ببضعة أعوام واستولت على ناحية منها وأقامت بها ، وعلى هذا فلم يرى الأندلسيون خيرا من اللحاق بإخوانهم وافتتاح الجزيرة التي خبروا ثروتها وخصبها وعرفوا مسالكها فيما سبق من غاراتهم ، وكان هؤلاء القوم هم أول من اكتشف ضعف الدولة البيزنطية وعدم قدرة الأسطول البيزنطي على موازنة الأسطول الاسلامي .

وخرجوا من الإسكندرية في ربيع أول ٢١٢ هـ، خرجت هذه الجماعة الجرئية بنحو عشرة آلاف مقاتل من مياه الاسكندرية في نحو أربعين سفينة أظلمتها راية الاسلام راية لا إله إلا الله . محمد رسول الله وخرجت للغزو في سبيل الله والجهاد ، فشر الدين الإسلامى الخفيف ذلك لأن هذه الجماعة المؤمنة برهبها المقتدية برسول الله صلى الله عليه وسلم ، خرجت نادرة نفسها للعمل على نشر الرسالة المحمدية وليس للسلب والنهب والحصول على الأسلاب والغنائم وأعمال القرصنة كما حاول أن يصور مؤرخى النصارى والمستشرقين جهاد المسلمين من أجل نشر عقيدتهم الإسلامية على أرض أوربا وإلا لما اختاروا هذه الجزيرة القريبة من القسطنطينية واختاروها للصادمة مع الدولة البيزنطية ولو أنهم كانوا يريدون غير الغزو في سبيل الله لذهبوا إلى بلاد المغرب مع إخوانهم الذين سبقوهم إلى هذه الديار ، أو ذهبوا إلى غيرها من البلاد الإسلامية دون أن يعرضوا أرواحهم للخطر وعلى هذا كانت غزوتهم لكريت . ولما تجدد الإشارة إليه أحداث قدوم الأندلسيين من الإسكندرية إلى كريت يرددها المؤرخون والكتّاب المسلمون وحدهم أما المؤرخون الأوربيين فيذكرون أن فانحى كريت أو أفريطس قدموا مباشرة من الأندلس أو صقلية إلى كريت دون الإشارة إلى رحيل الأندلسيين من الإسكندرية .

ولقد كانت هذه الغزوة الميمونة تحت قيادة جندى مسلم وبحار جريش عرف بالثجاعة والإقدام هو أبو عمر حفص بن عيسى الأندلسى المعروف بأفريطش أبو البلوطى (أنظر دائرة المعارف الإسلامية) وتسمية الروايات البيزنطية أبو شاييس ورسى سفن الغزوة على شواطئ أفريطش وأنقض المسلمون على الجزيرة من كل النواحي ، ففرت الحامية البيزنطية من قلاعها وحصونها وتركوا أسلحتهم وعتادهم وارتاع السكان فلم يبدوا معارضة كبيرة ولم تستطع حكومة القسطنطينية أن تبعث بمدد حربى للجزيرة لأنشغال الإمبراطور بقمع ثورة داخلية ولم يأت عام ٢٠٨ هـ / ٨٢٥ م إلا وكانت الجزيرة قد رفرفت على كل أرجائها راية لا إله إلا الله ، محمد رسول الله .

وتروى الروايات التاريخية أن أبا حفص لما رست سفنه على شواطئ الجزيرة

أمر بإحراق السفن وذلك لدفع القوم على التمسك بالأرض والاستقرار بالجزيرة مثلبا فعل طارق بن زياد حينما غزا الأندلس والمجاهد محمد بن أبي الجوارى الذى خلف أسد بن الفرات فى قيادة الغزوة الإسلامية على جزيرة صقلية وقد قال لجنوده حينما احتجوا على هذا العمل فيم شكواكم ، لقد حملتكم للجهاد فى سبيل الله إلى أرض تفيض باللبن والشهد وهذه أرضكم فاستريحوا فى هذه الأرض ولا تفكروا فى العودة من حيث أنيتم ولقد رحب بهم أهل الجزيرة على اختلاف فئاتهم ، إلا أنهم كانوا حائفين على الدولة البيزنطية لتدخلها فى المسائل الدينية واضطهادها لهم ، ولذا اعتبروا الفتح العربى للجزيرة منقذاً لهم من الاضطهاد الدينى ، فلم يقاوموا العرب المسلمين الفاتحين لجزيرتهم ، واستقر المسلمون بالجزيرة وأقام لهم أبا حفص حصناً حصيناً أحاطوة بخندق عظيم عميق وأمنوا جوانبه ، ومن ذلك اليوم عرف المكان وماحوله باسم قنديا أو كاندى ، وظل الخندق ومن فيه مبعث رعب وفرع وظل يزعم عرش الامبراطورية البيزنطية طيلة قرن ونصف من الزمان ، وزاده قوة مالى للجزيرة من موقع حربى ممتاز ، وقد ساعد هذا الموقع الحربى الممتاز على إلقاء الرعب بين سكان منطقة بحر إيجه كلها ، واستطاع العرب بما ملكوا من القدرة القتالية الفائقة أن يصبحوا سادة البحر المتوسط ، بل زاد النشاط التجارى للعرب بعد سيطرتهم على معظم شواطئ وجزر البحر المتوسط وخاصة جزيرة كريت والى كان لسيطرة العرب عليها أثر قوى فى تقدم تجارة العرب وازدهار المدن السورية والمصرية .

ولقد ذكر ابن خلدون أن المسلمون قد سيطروا على هذا البحر من جميع جوانبه وعظمت صولاتهم وسلطانهم فيه وملكوا سائر الجزر المتقطعة عن السواحل فيه مثل أفريقيا وصقلية وغيرها من جزر البحر المتوسط ، وقال آدم مرن فى كتاب الحضارة العربية لم يكن لأوروبا خلال القرن العاشر الميلادى أى سلطان على البحر المتوسط فقد كان بحراً عربياً وقد نتج عن هذا الانتقال انتكاسات هامة على القوى البحرية فى البحر المتوسط نتيجة للسيطرة على جزيرة قبرص وكريت شرقاً ومالطة وصقلية . فوحدة فى الوسط وجزر البليار وكورسيكا وسردينيا غرباً .

على أن العرب المسلمين لم يلقوا من المقاومة فى البحر المتوسط ما يقلقهم

فأسطول بينظية كان قد دمر قبل غزو كريت بأعوام وسكان الجزيرة كانوا يكرهون سادتهم في القسطنطينية ، وهكذا أصبحت كريت وغيرها من جزر البحر المتوسط قواعد أمامية استطاع المسلمون من خلالها مراقبة تحركات عدوهم والعمل على مد نفوذهم وسيطرتهم على القارة الأوروبية .

ولم يكن الغرض من السيطرة الإسلامية على القارة الاوربية من أجل كسب مادي يسعون إليه أو رغبة في السيطرة على الشعوب والتحكم فيها ، ولكن كان الهدف الذي سعى إليه المسلمون هو نشر الدين الإسلامى فى كل بقاع الارض ورفع راية لا إله إلا الله محمد رسول الله على قلب القارة الأوروبية .

ثالثا : أهمية السيطرة على الجزيرة :

لقد بذلت بينظية جهوداً متواصلة ومتصلة لاسترداد الجزيرة من أيدي المسلمين ولسكن هذه الحملات بامت جميعها بالفشل ، ويدكر أن حكام بينظية قاموا بأكثر من أربع حملات فى خلال عشرة أعوام ولكن المسلمين استطاعوا رد هذه الحملات الفاشلة- بل قابلوها بغارات على سواحل تراقية، وجزر السيكادير، بل أكثر من ذلك فإن المسلمون استطاعوا عام ٨٣٩ م أن يحرزوا نصراً حاسماً وعظيماً على بينظية حين تمكنوا من تدمير أسطولها على مقربة من جزيرة فاسوس وكان لهذا النصر الإسلامى أثراً قوياً على تقوية وتدعيم السيطرة الإسلامية فى حوض البحر المتوسط وهكذا أدت هذه المعركة البحرية إلى زعز البيننطينيين وخافوا على عروشهم ، وتهديد البحرية الإسلامية لعاصمتهم البيننطينية لاسيما وقد يعتمد حكام البلاد الإسلامية المطلة على البحر المتوسط إلى مساعدة إخوانهم مسلمى كريت ومدهم بالسلاح والمؤن والعتاد الحربى بل مدهم بالسفن الحربية ، فنجد الامبراطور البيننطى يجد فى تجهيز حملة بحرية ضخمة وذلك بعد أن عظم شأن الاسطول الإسلامى وأصبح مصدر قلق شديد للامبراطورية البيننطينية وذلك لى يستطيع اخضاع مسلمى كريت بعد أن شعر أهل كريت بالآمن والاستقرار فى ظل الحكم الإسلامى واستمروا على هذه الحالة حتى هاجم البيننطينيين الجزيرة سنة ٩٦١ / ٨٢٥٠ م واستولوا عليها ، وكان مسلمى الجزيرة قد أصبحوا مصدر قلق

وخطر شديدين على كيان بينظنة إلا أن التدابير المحسنة التي قام بها أهل كريت للوقاية بين رجال البحرية البينظنية وبين رجال البلاط البينظني حالت دون تحرك الأسطول البينظني من موانئه والاتجاه إلى جزيرة كريت .

وأيضاً فقد تعاون الأسطول الكريتي مع أسطول شمال أفريقيا وقاما بالهجوم المشترك على المراكز البينظنية في البحر التيراني والأدرياتي وتم للأسطول الاستيلاء على التيراني والأدرياتي برنديزي في جنوب شرق إيطاليا وبذلك فقد وضع المسلمون أيديهم على الأجزاء الجنوبية من أراضي القارة الأوروبية ولكن بينظنة والتي كانت مشغولة في ذلك الوقت بمشاكل داخلية استنجدت بالبندقية التي دفعت في المعركة بأسطول مكون من ستين سفينة حربية للدفاع عن هذا الإقليم الذي سقط في أيدي المسلمين، واسكن هذا الأسطول حطامه المسلمون تماماً ولم تنجوا منه إلا سفن قليلة ووقع أكثر رجاله أسرى وكان من نتائج انهزام البندقية استيلاء المسلمون على طارنت عام ٨٤١ م واستمر تعرض البحر التيراني لغارات الأساطيل الإسلامية فترة طويلة، وبدأت هذه الأساطيل غزواتها على مدينتي « أنيكونا » « أوزيرو » واستولوا في طريق العودة إلى كريت على عدد من سفن البندقية التجارية العائدة بالتجارة من صقلية ، ثم عادوا الكرة في العام التالي على شمال البحر الأدرياتي .

واسكن سادات منطقة بحر إيجه الهدوء فترة لم يتحرك فيها مسلمو كريت ضد النصارى إلا حركات طفيفة سواء في البحر التيراني أو البحر الأدرياتي بسبب ماحدث من صراع بين مسلمي كريت وبين الأغالبية حكام تونس وصقلية ويوضح الصراع السياسي بين أمير تونس الأغلبي وبين مسلمي كريت أثر تعرض أساطيل كريت لسفن تجارة الأغالبية مع الشرق على طريق التجارة الدائرية المارة بكريت وجنوب إيطاليا .

ولقد كان اعتراف حكام كريت المسلمين بالتبعية العباسية مما ساعد على جعل هذه الجزيرة بمثابة قاعدة بحرية هامة للأسطول الإسلامي في شرق البحر المتوسط إذ عدت كريت تابعة لولاية مصر إدارياً ومن ثم صارت الإمدادات اللازمة تصلها تبعاً من مصر والشام وفي نفس الوقت عمل مسلمي كريت على تكوين وحدات بحرية

جديدة لهم ولذا لم يغفل البيزنطيون عن هذا الخطر الذي أحاط بهم من أثر وقوع كريت في أيدي المسلمين لذا عملوا على إعادة الجزيرة منهم فأنفذوا حملات عدة للسيطرة على الجزيرة ولكنها لم تسفر عن شيء بل إن المسلمين دعوا أنفسهم في كريت فغزوا جزيرة وأيجيت ، الواقعة في بحر إيجه ، ولقد كشفت الحملات الكثيرة التي أرسلها البيزنطيون عن ثبات أقدام المسلمين بجزيرة كريت وضعف البحرية البيزنطية وهذه الانتصارات فترة طويلة ضمن المسلمين البقاء بالجزيرة فترة طويلة إزاء هذا صارت القوات البحرية الإسلامية تهدد الروم وأساطيلهم في شرق البحر المتوسط وقامت البحرية الإسلامية بغارات تخريبية على جزر بحر إيجه وعمل المسلمون على تدعيم قواتهم البحرية وقد تعاونت الأساطيل البحرية الإسلامية الكريكية والمصرية والسورية في الحملة التي هاجمت سالونيك .

وقد استغلت بزنطة الصراع الدائر بين مسلمي كريت وحكام تونس وصقلية فقامت بتوجيه أسطول ضخم ظفر بالأسطول الإسلامي الكريكي وأخذه على غرة في خليج كريت واستطاع بهذه المباغته الخادعة أن يحطم معظم سفن الأسطول الكريكي ، وكان من أثر ذلك أن استقر السلام في بحر إيجه مدة تزيد عن عشرين عام ، وظلت عواصف الحرب والإغارة سلكة حتى عام ٩١١ م ولكن في هدوء العاصفة يستجمع مسلمي كريت وغيرهم من المسلمين قواهم ويرفعون شعار الجهاد والاستشهاد ويستعدون للحرب من جديد ولتوجيه أقصى ضرباتهم على الإطلاق للامبراطورية البيزنطية ، فقاموا بغارة واسعة النطاق على مدينة سالونيك وهي المدينة الثانية في الامبراطورية ، وسارت قاذفات اللهب في طليعة الأسطول مما جعل الغزو ناجحاً تماماً وأسر المسلمون في هذه الغارة من سكان المدينة عدداً يتراوح بين ٢٢ ألف نسمة وخمسة وعشرون ألفاً ، اقتيدوا إلى مختلف الأنظار الإسلامية وذلك ليشدد من عزم الدولة الإسلامية لمساعدة مسلمي كريت في مواصلة جهادهم والكفاح ضد الامبراطورية البيزنطية والعمل على نشر دينهم في أرجاء القارة الأوروبية ، ولكن بزنطة وقد عملت أن الحملة لم يكن ليكتب لها هذا النجاح الساحق إلا بمساعدة مصر وسوريا ، ولذا فقد عملت سراً على القيام بحملة بحرية وهجوم شامل وهذه المرة لا تكون الحملة ضد كريت ولكن يجب أن توجه إلى

دلنا النيل لأن أصحاب مصر كانوا على تحالف وثيق مع مسلمى كريت واستطاعت هذه الحملة أن تنهب مدينة دمياط واستولت على أسلحة كانت معدة لإرسالها إلى كريت ، ثم قامت بغارة أخرى على دلتا النيل ولايستبعد وأن تكون هذه الحملات البحرية على مصر قد تركت أثراً على كريت ذاتها فقد انصرف أهل كريت على إزعاج الأراضى البيزنطية ، مما دفع بينظلة وقد أوجعها عملية سالونيك وهزت قلب الامبراطورية ، فعزمت على القيام بحملة بحرية على كريت نفسها عام ٩١٠ م كان مصيرها الفشل وباتت كريت مرة أخرى مصدر قلق دائم يهدد كيان الامبراطورية البيزنطية .

على أن مسلمى كريت لم يناصبوا وحدهم بينظية العداء بحر لإخلال تلك الحقبة وإن كانوا أشد أعدائهم خطراً ولكنهم كانوا أكثر المسلمين تصميماً على تقويض عرش بينظية ونشر الدين الاسلامى فى أرجائها ، وهذا التصميم هو الذى دفع العباسيين فى بغداد على التعاون مع مسلمى كريت بالإضافة إلى تعاون الأسطول المصرى والسورى ولهذا أمر الخليفة العباسى المعصم ببناء أسطول مكون من أربعين سفينة ودفعه إلى بحر أيجة لمساعدة مسلمى كريت ولكن هذا الأسطول لم يصل إلى مسلمى كريت نظراً لتعرضه لعاصفة قوية ولم تصل منه إلا سبع سفن شاركت مسلمى كريت جهادهم ضد البيزنطيين .

ولكن فى عام ٩٣٣ م ظفر قائد البحرية البيزنطية بإحدى فرق الأسطول الكريتي على مقربة من جزيرة لمنوس فدمرها وأضعف هذا من قوة العرب والمسلمين فى بحر إيجة لمدة تزيد عن عشرين عاماً ، وبالرغم من السكفاح الطويل والمرير الذى قامت به بينظية لسنوات طويلة دون بقاء الجزيرة ذات الموقع الاستراتيجى فى أيدي العرب والمسلمين إلا أن كل محاولاتها كانت تهوى بالفشل ويزداد تمسك المسلمين بالجزيرة ، وصفوة القول إنه كان لدخول المسلمين حوض البحر المتوسط وسيطرتهم على مياهه وجزره وتهديدهم شواطئه البيزنطية نتائج بعيدة المدى على مصائر الدول الأوربية التى تطل على حوض هذا البحر منذ أوائل القرن الثامن إلى نهاية القرن الحادى عشر الميلاديين .

رابعاً : الحضارة الاسلامية بالجزيرة :

بعد أن سيطر المسلمون على الجزيرة ، وأقاموا لهم عاصمة وعسكروا من حولها وأمنوا جوانبها وحصونها بالخندق وقد أطلق الغربيون على تلك العاصمة « قانديا أو كانديا » ولم يكتف المسلمون بإقامة عاصمة لهم ، وكيف وهم أصحاب الحضارة وقد خبروا فن البناء والعماره بالآندلس ثم تذوقوا الفن الاسلامي في مصر والى أقاموا بها عشر سنوات قبل رحيلهم إلى كريت ، بل أنهم أقاموا المدن الداخلية حتى بلغ المدن الاسلامية التي ازدهرت في كريت تسعة وعشرين مدينة ، وأنشأ الموانئ واختاروا لها المواقع الحصينة لكي يحتمى بها الأسطول الاسلامي من الأسطول البيزنطي وكذلك للحماية من العواصف والغارات المفاجئة .

ولقد تقدم فن البناء والعماره في جزيرة كريت فكانت المباني آية من آيات الفن العربي والاسلامي فمن مباني ضخمة وعظيمة استخدمت فيها الفسيفساء والمزايكو وجعلوها بالآيات القرآنية الجميلة وأكثروا من بناء القصور ذات الحدائق الغناء وبقدر اهتمامهم بالعماره السكنية فإنهم اهتموا اهتماماً كبير بإنشاء وبناء المساجد الواسعة الرائعة ، بل وأكثر من بنائها في كل المدن والأحياء وورسوا علوم الدين الاسلامي ، واهتموا بها وبحفظ القرآن الكريم ، وأوقف الحكام عليها الأوقاف الخيرية وكيف وهم أصحاب الثروة الواسعة وأصحاب الأسطول التجاري العظيم الذي كان يحوب موانئ البحر المتوسط وأنشأوا الكثير من الفنادق والحمائم وبلغت الحضارة العربية الاسلامية شأنها عظيماً في الجزيرة وأتسع نطاق العمل بالنسبة للأسطول العربي الكريتي والذي عاد أثره على اقتصاد البلاد بفائدة والمنفعة . واهتم الحكام بإدخال السكان المحليين في الدين الاسلامي الخفيف وأقبل السكان على الدخول في الدين الجديد أفواجاً وأقبلوا على حفظ القرآن الكريم وتعلم اللغة العربية لغة القرآن التي انتشرت بين السكان بسرعة وغلب اللسان العربي على أكثر الأراجاء في الجزيرة ، وحاول كل إنسان في الجزيرة أن يتعلم لغة القرآن الكريم وأن يتحدث بها .

كذلك كان لاتعاش الحركة الاقتصادية في الجزيرة أثر عظيم في كثرة الأسواق

والحوانديت في العاصمة قانديا وغيرها من المدن ووصلت إليها بضائع الصين والشرق الإسلامي والشمال الأفريقي والأندلس وساهمت كريت في نقل بضائع الشرق إلى أوروبا ومن هنا فإنه يمكن القول أن فترة الوجود العربي والإسلامي بالجزيرة كانت فترة ازدهار وتقدم للحضارة العربية الإسلامية بحيث بلغت الحضارة العربية شأنًا عظيمًا من الرقي لم يقل شأنًا عن الحضارة العربية الإسلامية في غيرها من البلدان الإسلامية الأخرى التي كان فضلها لا ينسكرك على الحضارة الأوربية فكريت ساهمت في نقل الحضارة العربية الإسلامية إلى أوروبا كما ساهمت صقلية وجنوب فرنسا وجنوب إيطاليا والأندلس في نقل التراث العربي الإسلامي إلى أوروبا، ولقد كانت المعاملة الطيبة من جانب العرب الفاتحين لأهل الجزيرة سبباً في ازدهار الحضارة العربية الإسلامية فالتاريخ الإسلامي يعرف للعرب تسامحهم ويشهد بأنهم ما غزوا قوماً ليدلوهم وما فتحوا بلداً من البلاد الإسلامية إلا وعاملوا سكانه أحسن معاملة وذلك عملاً على نشر الدين الإسلامي الخفيف بالحجة والإقناع وإذاء وكل هذا لم يجد سكان الجزيرة من النصارى غضاظة أو حرجاً من البقاء تحت الراية الإسلامية، كذلك مما ساعد على انتشار الحضارة الإسلامية والثقافة العربية هو عمل العرب على الزواج من سكان الجزيرة فانصلت الانتساب وتوثقت روابط الدم والقربى وأنصهر الجميع في بوقعة الإسلام وعمت المساواة وسادت الناس علاقات من أود والتضامن أدت إلى انتعاش الحياة في الجزيرة وإلى زيادة سكانها وعمل المسلمون من التجار والدعاة إلى الزواج للجزيرة بأعداد كبيرة وذلك لطبع البلاد بالطابع العربي الإسلامي.

خامساً : انحسار المد الإسلامي عن الجزيرة :

استخدم هنا لفظ انحسار وليس لفظ أنكسار الذي استخدم عند طرد المسلمين من صقلية ذلك لأنه لم يمضِ زمن طويل على انحسار الإسلام عن كريت إلا وعاد إليها أقوى مما كان في عهد الأتراك العثمانيين وقد توطدت وعائمة ورسخت أركانها، ولقد كان للغزوة التي قام بها الأسطول البيزنطي عام ٩٢٣ م ومباغته الأسطول العربي الكريتي رد فعل عند البيزنطيين إذ سرعان ما عاودهم الأمل في استرداد الجزيرة من المسلمين ففي عام ٩٤٩ م قاموا بحملة القضاء على المسلمين،

إذ نجد الأمبراطور البيزنطى يبعث بحملة ضخمة للاستيلاء على العاصمة قانديا قلعة المسلمين العتيقة واسكن الحملة بامت بالفشل وبقيت كريت في قبضة المسلمين وهكذا أثبت المسلمون أنهم أكثر تمسكا بإيمانهم واشد عداوة للكفار وأشد إصرار في الدفاع عن دينهم الاسلامى وهكذا نجح العربى على قتلهم بفضل المسجون لإيمانهم وشجاعتهم وصبرهم على الشدائد وحبهم للملاحة وميلهم للعمل على رد غارات البيزنطيين وبعد ذلك نظرت القسطنطينية إلى كريت فإذا تجارتها باثرة وأسواقها كاسدة بسبب نشاط أسطول العرب المسلمين الكريى القوى ولذا عقد امبراطور بيزنطية عزمه على مهاجمة الأسطول الاسلامى فى كريت وذلك لأن الظروف فى العالم الاسلامى كانت تساعد على القيام بعمل عسكري ضدها ، فالصراع الدائر بين العباسيين فى بغداد والفاطميين فى القاهرة قد ترك أثره القوى على مسلمى كريت وأيضا سقوط قبرص فى أيدي البيزنطيين حال دون اتصال مسلمى كريت بإخوانهم مسلمى سوريا وعلى هذا فإنه لم يأت عام ٩٦٠ م إلا وكانت بيزنطة قد بعثت إلى الجزيرة القوية المؤمنة برسالة ربهام العاملة على نشر دين الاسلام ، بأسطول ضخم من ٢٠٠٠ سفينة حربية ، ٢٣٦٠ سفينة تحمل المؤن والذخائر ، أى مايقرب من خمسة آلاف سفينة كل ذلك من أجل الجزيرة الصغيرة ويعتبر هذا أكبر أسطول تحشد بيزنطة لخله بحرية فى تاريخ البحرية البيزنطية وذلك لى تضمن لنفسها نجاح الحملة ولخوفها من شدة مقاومة مسلمى كريت بل وأكثر من ذلك فقد أحتاطت بيزنطة من أى تدخل إسلامى فبعثت ببعض القطع من أسطولها إلى شرق البحر المتوسط لتحول دون وصول أى عون أو مدد يحتمل أن يشلقة المسلمون فى الجزيرة من إخوانهم مسلمى سوريا أو مصر أو الشرق العربى عامة ، وحملت الأساطيل البيزنطية على قانديا ، العاصمة الاسلامية لسكريت وكان يحكم كريت فى ذلك الوقت السلطان عبد العزيز (أنظر دائرة المعارف الاسلامية مادة كريت) وهو آخر أعقاب أبو حفص الافريطش فاتح الجزيرة والتي انطوت تحت لواء الاسلام من ٨١٥ - ٩٦١ م فلقى البيزنطيين مقاومة لم يرى قائد الحملة البيزنطية مثيلاها من قبل وشاء القدر أن تسقط الجزيرة فى ٣٥ م / ١٧ مايو ٩٦١ م ويضع البيزنطيين أيديهم على ماتوافر فيها من ثروات ضخمة وحضارة إسلامية متقدمة زاهرة أقامها المسلمون

بجهودهم المتواصلة المتصلة وأخذوا السلطان عبد العزيز معهم أسيراً إلى القسطنطينية حيث مات هناك .

وبما للنصارى من بغض وكراهية وحقد على الدين الإسلامى نجدهم يعملون على القضاء على كل أثر إسلامى بالجزيرة فخرّبوا الديار وهدموا كافة معالم الحضارة الإسلامية بالجزيرة ولم يبق بالجزيرة كلمة إلا أقلية من المسلمين تعيش خارج العاصمة قانديا وهؤلاء أصبحوا مغلوبى الإرادة ومسلوبى الحول والقوة بل وأن كثير من المسلمين رفض التعاون معهم وفقاً لمخططهم وليس أدل على إحساس المسلمين بالمرارة على ضياع الجزيرة من أيدي المسلمين إلا ما كتبه ابن خلدون فقال : لقد خرج المسلمون من الجزيرة والله سبحانه وتعالى يعيد الكرة ويذهب آثار السكرة ، وأيضاً ما كتبه الإدريسي بعد أن سيطر النصارى على جزيرة أقریطش من المسلمين فإنهم عملوا على تنصير المسلمين ولسكن هؤلاء أبت عليهم عزهم وإسلامهم ففر منهم الكثير ناجياً بدينه وكتب الله لهم النجاة ، وحقت كلمة العذاب على الكافرين والله غالب على أمره ، ومن بقى من المسلمين فى الجزيرة قاوم تلك العملية بكل شدة وإخلاص للدين الإسلامى الحنيف عقيدته وعقيدة آبائه وأجداده الذين فتحوا الجزيرة ونشروا الإسلام وحضارته بين ربوعها وكان على رأس هؤلاء رجل قوى للإيمان ثابت العقيدة متمسكاً بإيمانه إلى أقصى حد ويدعى الخوذى ، وقال عنه النصارى أبادهم الله أنهم يزعمون لو أن هذا الرجل تنصر ما بقى رجل مسلم إلا وفعل فعلته اتباعه والله لسكن الله تكفل بعصمتهم جميعاً ونجاهم مما هم فيهم بفضلهم وكرمه وهاجرت جموعهم تاركة أرض الأجداد إلى مصر وبلاد الشام ، بعد أن بقى الإسلام فيها أربعة أجيال متوالية .

وهكذا فقدت العروبة والإسلام أرضاً كم تمنيت أن تكون هذه الأرض اليوم أرضاً إسلامية وداراً للعروبة ، وبهذا طويت صفحة من صفحات الكفاح الطويل من أجل نشر الدين الإسلامى الحنيف والله يعيد الكرة ويذهب آثار الكفر .

الإسلام فى عهد الاتراك العثمانيين :

لقد هاجم الفاطميون الجزيرة عام ١٠٣٠م ولسكن موجة الفتح لم تبدأ إلا على يد العثمانيين فى القرن الرابع عشر الميلادى وقد تم فتحها عام ١٦٤٥م

وبقى للبندقية مركزا بالجزيرة لم يستولى عليه إلا عام ١٧١٥م في عهد السلطان أحمد الثالث وأخذت هذه الأراضى من جمهورية البندقية وقد احتلت اليونان الجزيرة عام ١٩٢٢م واصلتها ألحقت بالدولة المصرية في عهد محمد على عام ١٨٢٤م وبقيت في يد مصر حتى عام ١٨٤٠ حيث أعيدت للدولة العثمانية مرة ثانية واصلت وفي عام ١٨٩٨ م انسحبت تركيا منها بعد أن استقلت الجزيرة واصلتها أنضمت لليونان عام ١٩١٣ م وقد أجبر اليونان والمسلمين على الهجرة من الجزيرة كما أنها أخرجت مسلمى كريت من الجزيرة بالقوة على الرغم من أنهم يونانيون أصلا ولغة ولم تكن اليونان بذلك بل أرسلت جيشاً عام ١٨٩٧م قام بذبح المسلمين الذين من أهل الجزيرة وعلى الرغم من أنه عندما ضمت الجزيرة لليونان عام ١٩١٣م فإن الحلفاء أوصو بضمان حقوق الأقلية الإسلامية ولكن هذا لم يمنع اليونان من طرد البقية الباقية من المسلمين منها .

وهكذا ضاع الإسلام من كريت بسبب الغفلة الإسلامية وبسبب تعصب المسيحيين وإضطهادهم للمسلمين .

الإسلام والثقافة العربية في جزيرة مالطة

لقد كان المد الإسلامى فى البحر المتوسط ونشر دين الإسلام فى القارة الأوروبية يقتضى ضرورة سيطرة الأسطول الإسلامى على كل الجزر الواقعة فى البحر الأبيض المتوسط سواء كانت هذه الجزر كبيرة أو صغيرة وذلك لتأمين الحماية الكافية للأسطول ودرا لخطر الأسطول البيزنطى وإيجاد راعد للأسطول الإسلامى يستطيع منها أن ترسى بها سفنه فى عرض البحر المتوسط لذا فإن الضرورة الملحة اقتضت السيطرة على جزيرة مالطة وذلك لتأمين وضول الأسطول الإسلامى إلى صقلية .

وجزيرة مالطة من جزر البحر المتوسط وهى أكبر جزيرة فى الأرخيبل المالطى المؤلف من جزيرة مالطة وجزر كومينو وكومينوتو ، وفلفو وإن كانت صغيرة المساحة بالنسبة وجزيرة كصقلية أو كريت أو سردينيا إلا أنها تعتبر من المحطات الهامة فى البحر المتوسط وموقعها ذو أهمية عظيمة لمن يستطيع أن يسيطر عليها ويخضعها لنفوذه السياسى وتتميز مالطة ولواحقها بحسن الموقع

حتى اعتبرت مفتاح البحر الأبيض المتوسط الشرقى في العصور الوسطى وكذلك في العصور الحديثة واسمها اليونانى ميليشيه وحرفها المسلمون إلى مالطة .

وقبل الغزو الإسلامى لها كانت شديدة الضرر على المسلمين فى البحر وكان معظمها النصارى تعظيما بالغا وهى مركز هام من مراكزهم الاستراتيجية فى بحر الروم وبها وكلاء للامبراطور الرومى ، والمعروف عن تاريخها السابق للفتح الإسلامى أنها خضعت للفينيقيين فى القرن السابع قبل الميلاد ثم للرومان عام ٢١٨م وظل الرومان بها عشرة قرون اعتنقت خلالها مالطة المسيحية ، ثم خضعت للوندال وللقوط الغربيين ثم استردها الامبراطور البيزنطى جنسيتان فصارت جزءا من الامبراطورية البيزنطية وقد ذكر أحد الأسرى المسلمين الذين أسروا بها أن منازلها ذات زخارف عظيمة وحصونها غاية فى المتانة وأبراجها مشيدة على أحسن الطرز العسكرية وبها من عدة الحرب الشئ الكثير وهى تبعد حوالى ٩٠ كيلو جنوب صقلية وعلى بعد ٢٩٠ كيلو متر من شاطئ تونس ومساحتها مايقرب من ٢٥٠ كيلو متر وقد أصبحت محطة هامة للأسطول الرومى فى البحر المتوسط بعد خضوعها لسيطرة الامبراطورية البيزنطية وهى حلقة وصل بين ممتلكاتهم فى الشرق ومطامعهم فى الغرب وأهلها من أصل سامى كنعانى من قديم الزمن ولغتهم عربية محرفة .

جهاد بنى الأغلب حكام تونس :

وكان حكام بنى الأغلب بعد أن استقرت لهم الأمور فى تونس ، قد عملوا على نشر الرسالة الإسلامية السمحة فى قلب القارة الأوربية وفى ذلك يذكر ابن الأثير فى كتاب الكامل عن حوادث عام ٥٢٢١هـ أن ابراهيم بن الأغلب أرسل أسطولا لغزو الجزائر وربما يكون المقصود بتلك الجزائر هو الأرخييل الذى منه مالطة ولم يكن وهذا الغزو للجزيرة إلا مجرد جس النبض ثم تعقبة بعد ذلك غزوة إسلامية للاستقرار والاستيلاء النهائى على الجزيرة وربما تكون مالطة قد دخلت فى حوزة المسلمين قبل عام ٨٠٠م ولا يستبعد أن يكون غزو الجزيرة قد تم قبل عام ٥٢٢٦هـ ذلك لأن أبا الأغلب ابراهيم كان قد غزا صقلية عام ٥٢٢١هـ واستولى عليها

وترك مالطة وهي أقرب إلى تونس من صقلية ولكن هناك أقوال تذكر أن فتح المسلمون لمالطة قد تم بعد استلاتهم على جزيرة صقلية ويستدلون على ذلك أن الفتح النهائي لمالطة قد تم بعد فتح صقلية بمدة طويلة وذلك لأن حكام بنى الأغلب بعد أن تدعم وضعهم في صقلية، رأوا أن مالطة تشكل خطراً على تحرك الأسطول الإسلامى من تونس إلى صقلية، وبالعكس فاستقر رأى على ضرورة إخضاع مالطة للدد الإسلامى وإطوائها تحت الراية الإسلامية راية لا إله إلا الله محمد رسول الله، وضما لدولة الإسلام الكبرى بعد أن تبين لهم أن الأسطول البيزنطى يتخذ منها ملجأ لأسطوله ومركزاً من مراكز تموينه فى البحر المتوسط.

ثانياً: الغزو والاستقرار :

ولقد سنحت الفرصة للمسلمين فى عهد والى صقاية الأمير خفاجة بن سفيان الذى ولى أمر الجزيرة صقلية من قبل بنى الأغلب فى جمادى الأولى ٨٢٤٧ هـ ، ٨٦٢ م والذى كان رجلاً متديناً بارعاً فى السياسة والحرب، عاملاً على قطع آمال الروم وآمال سائر النصارى فى إعادة جزيرة صقلية إلى حوزتهم مرة أخرى، بل أكثر من ذلك عاملاً على مد الفتوحات الإسلامية إلى كل أوروبا والاستيلاء على البر الكبير (إيطاليا) وتدعيم نفوذ الأسطول الإسلامى فى البحر المتوسط وكان إن صمم على إخضاع مالطة للدد الإسلامى إلا إنه رأى أنه لا يمكن إبعاد الخطر البيزنطى المسيحى عن صقلية وقطع آمالهم فيها إلا بإخضاع جزيرة مالطة لسلطان المسلمين فكان أن استشار الأمير الأغلبى إبراهيم بن أحمد الذى وافقه وأمره بالفتح، بل أمده بالأسطول والجند والعتاد لى يستطيع أن يدرأ الخطر الرومى ويسيطر على مالطة فى يسر وسهولة وعقد الأمير خفاجة بن سفيان لواء الحملة الإسلامية الميمونة للاستيلاء على مالطة إلى ابنه الأمير محمد بن خفاجة الذى كان عضداً قوياً لأبيه يقهر به شوكة الأعداء ويعاونه فى إدارة شئون الحكم وفى قيادة الحملات العسكرية الموجهة ضد النصارى.

سار الأمير محمد على رأس الأسطول الإسلامى الذى رفع راية لا إله إلا الله محمد رسول الله، والذى ضم خيرة المقاتلين الذين كانت قوة إيمانهم بالله وعزمهم

عن قهر الأعداء ونشر الدين الإسلامى فى كل بقعة يقطنها بشر ولأجل تقويض نفوذ الدولة البيزنطية، وقد استطاع الأمير أن يرسى بسفنه وينزل جنده ، بعد أن استطاع أن يهدم قلاعها ، ويدك حصونها وأن يرفع راية لا إله إلا الله ، محمد رسول الله على أكبر حصونها واستطاع أن يدمر مقاومة الأسطول الرومى الذى كان يحمى شواطئها و راحلها وأن يضطره للفرار إلى عرض البحر بعد أن تحطمت أكثر سفنه .

ولقد جاء استيلاء الأغالبة على مالطة ولواحقها مكملًا لحصارهم صقلية فضلًا عن رباطها بالامبراطورية الإسلامية فقد أضحت جميع الجزر فى تلك المنطقة الوسطى فى حوض البحر المتوسط فى أيدي المسلمين ومن ثم تأكدت سيطرة المسلمين على المضائق الواقعة بين صقلية وأفريقية .

وهناك فى الجزيرة وجد المسلمون أنفسهم بين قوم كادوا يكونون من أصلهم وذويهم ولقد رحب سكان الجزيرة بالعرب الفاتحين وأحسوا أن الفتح الإسلامى قد خلصهم فى نير الحكم الرومانى واضطهاده الدينى لهم ، ولكن الامبراطور الرومانى وقد هاله هذا النصر السريع والحاسم للمسلمين فى مالطة وأحس بالكارثة التى أصابت الروم بفقدائها أهم مركز من مراكزها الاستراتيجية فى البحر المتوسط ، فرأى أن يعمل على إعادة الجزيرة من أيدي المسلمين ، فأرسل أسطولاً ضخماً يتكون من ثلاثين سفينة حربية غير سفن الامتداد والتى كانت تحمل المؤن والأسلحة وجاء الأسطول الرومى فى العام التالى ٥٢٥٧ هـ / ٨٧٠ م يتباهى بقوته وعدته وعظمته واستطاع أن ينصب الحصار حول مالطة أولاً بهذا الحصار أن يمنع تعاون الإسلامى للجزيرة سواء من صقلية ، ومن تونس أو غيرها من سفن الأسطول الإسلامى الأخرى (الأندلس - كريت - مصر) والتى كانت تجوب البحر المتوسط وتسيطر عليه ، وأخذ الأسطول الرومى يسعد لإنزال جنده إلى الجزيرة حتى يرفع فوق ترابها راية القسطنطينية بعد أن أسقطتها القوات الإسلامية من فوقها وفوق غيرها من الأراضى والجزر فى البحر المتوسط .

ولكن ما أن علم الأمير خفاجه وإبنه الأمير محمد بتحريك الأسطول البيزنطى

وقرب أحكامه الحصار حول مالطة حتى قاما بجمع سفن الأسطول الصقلي وسار برجاله لنجدة الجزيرة المحاصرة ولفك الحصار من حولها ولمنع راية القسطنطينية أن ترفع مرة أخرى فوق مالطة ، ولما علم الروم أنهم مالتوا أسطول قوى عدة رجاله قوة لإيمانهم ارتدوا أمامه خاسرين ولقد ألقى الله الرعب في قلوب الروم ، فلم يكذب رجال الأسطول الرومي أن يشاهدوا سفن المسلمين قادمة نحوهم حتى فروا بسفنهم نحو الشرق ، وهكذا مكن الله لراية الإسلام أن تعلو وللشريعة الإسلامية السمحة أن ترفع فوق أرض مالطة .

وقد ذكر أحد مؤرخي العرب هذه الغزوة قائلاً أن الله قد قذف في قلوب الكفار الرعب ، فلم يكذب أحد يقف في وجه المسلمين إلا لطلب الأمان ، ولم يزل المسلمون يتقدمون في الجزيرة ويؤمنون العباد إلى أن تم لهم السيطرة على كل الجزيرة .

ولما خضعت مالطة لحكم أمراء صقلية وأصبحت ولاية تابعة لحكمهم منذ عام ٢٥٦ هـ / ٨٦٩ م فقد عمل هؤلاء الحكام على تهجير القوم من تونس وغيرها من بلاد المغرب العربي وفتح أبوابها أمام المسلمين من كل البلاد وذلك تشبهاً لأقدام المسلمين بها وعملاً على صبغها بالصبغة الإسلامية العربية ، وقد قام هؤلاء المهاجرين الجدد بالاختلاط بالسكان المحليين الذين لم يشعروا بالعربة بينهم ، بل عملوا على مصاهرتهم ، ونشر الدين الإسلامي الخفيف بينهم ، وقد أبدى هؤلاء ترحيباً بالإسلام ودخلوا في دين الله أفواجا ، وساعدوا العرب والمسلمين على إقامة المدن والحصون والقلاع وعلى بناء المساجد في كل مكان وجد فيه تجمع إسلامي وذلك لكي يؤدي المسلمون شعائر الصلاة وقراءة القرآن وتدريس العلوم الإسلامية بها .

وعلى الرغم من أن الجزيرة صغيرة وليس بها إلا خمسة نهيرات قصيرة وقليلة المياه ، إلا أن المسلمون قد عملوا على إصلاح أرضها وفلاحتها وأدخلوا بها كثيراً من الزراعات التي لم تكن معروفة من قبل والتي تتلائم وجو الجزيرة وأدخلوا بها بعض الصناعات وساعدوا على تعميرها ونشر حضارة الإسلام بين ربوعها ، وفي أثناء حكم بن الأغلب لصقلية كان أمير صقلية يرسل نائباً عنه لحكم

الجزيرة والذي كان يحكم باسم بنى الأغلب حكام تونس وقد استمر حكم بنى الأغلب
لما لطة من عام ٨٦٩ - ٩٠٩ م .

حكم الفواطم للجزيرة :

ولكن لما قامت الدولة الفاطمية في شمال أفريقيا واتخذت مدينة المهدية
عاصمة لها ، وزالت دولة بنى الأغلب وظهرت على مسرح السياسة العربية
الإسلامية الدولة الشيعية الفاطمية وعظمت مكانها المهدية كقصر لحكم الفواطم منذ
عام ٩٠٩ م وعلم بذلك أهل صقلية والى كانت جزيرة مائدة تخضع لإدارة أميرها
بأنهيار دولة بنى الأغلب ، وقرار بن زيادة الله آخر سلاطينهم ، ثاروا على الأمير
أحمد بن الحسين بن رباح وحبسوه وأعادوا للولاية عليهم على بن محمد بن
أبو الفوارس وأرسلوا للمهدية يعلنون الانضمام للدولة الفاطمية الفتية والقيام
بأمرها في حكم صقلية ومالطة . فصادق أبو عبيد الله المهدي على ذلك الوالى الجديد
والذى نصبه أهل صقلية ومن ذلك التاريخ انتقلت مالطة إلى أيدي حكام الفواطم
ولكن عندما توطدت أقدام أبو عبيد الله المهدي واستقرت له الأمور في البلاد ،
أرسل من ناحيته والياً على صقلية هو الحسن بن أبي خنزير وهو من زعماء كتامة
من البربر ، الذين أيدوا الدعوة الشيعية الفاطمية ونصروها وكان قبل وصوله إلى
صقلية قد عرج إلى مالطة لتثبيت أقدام الوالى الشيعي عليها ومن ذلك التاريخ
صارت مالطة في كل أمورها تدار عن طريق والى هو نائب أمير صقلية الذى
يعينه الخليفة الشيعي من المهدية ثم بعد ذلك من القاهرة بعد انتقال الخلافة الفاطمية
لها واستمر الحكم الفاطمي للجزيرة من ٢٩٧ هـ / ٩٠٩ م إلى ٤٨٤ هـ / ١٠٩١ م .

ولقد كان مقام المسلمين بمالطة أطول من مقامهم بجزيرة صقلية ذلك لأنه
لما سقطت صقلية في أيدي النورمان لم تبقى إلا مالطة وقوصرة تحميان شواطئ
أفريقية فأرسل كونت روجر عام ١٠٩١ م أسطولاً إلى مالطة أجبر حكامها المسلمين
على الاعتراف بالسيادة النورماندية وظل المسلمون في مالطة رغم تبعيتهم السياسية
للنورمان كذلك استولى النورمان على جزيرة قوصرة ولم يكتفى النورمان بإزالة
سلطان المسلمين عن هذه الجزيرة بل حاولوا الاعتداء على مدينة المهدية وذلك لأن

حدجار عندما استولى على صقلية سقطت مالطة وأصبحت بدورها تابعة للنورمان ، بعد أن كانت قد خضعت لحكم المسلمين فترة تقدرها المصادر العربية بأكثر من مائتين وعشرين عاما وهكذا فإن الإسلام في تلك الفترة كان قد رسخت دعائمه وتوطدت أركانه وازدهرت حضارته وأينعت بفعل النعالم الإسلامية السمحة والشريرة الغراء الخالدة .

ولقد ظل المسلمون يقيمون في مالطة بعد خضوعها لحكم النورمان شأن لآخوانهم الذين ظلوا في صقلية حتى عام ١٢٤٩ عندما ظهرت حركة اضطهاد المسلمين ، فاضطر هؤلاء للهجرة فراراً بديهم الإسلامي إلى شمال أفريقيا وغيرها من البلاد الإسلامية الأخرى .

الثقافة الإسلامية بالجزيرة :

لقد ترك الإسلام والعروبة أثرهما الواضح والقوى على سكان الجزيرة وعلى لغة أهلها ، حتى أننا نجد أن لغة أهل مالطة كما يقول ذلك المؤرخون أنها لغة عربية وقال آخرون أن أكثر كلماتها عربية وقالوا آخرون أن لهجة سكانها لهجة عربية تونسية ، ويمكن نجد أن اللغة العربية قد ثبتت دعائهما في مالطة برغم انقراضها صقلية وسردينية والاندلس وجنوب فرنسا وجنوب إيطاليا وجميع البلدان الأوربية التي خضعت للهد والسيادة الإسلامية وذلك لأن أهل هذه الجزيرة كانوا من أهل كنعاني ، وأن لغتهم الأصلية هي اللغة الفينيقية والتي هي أخت اللغة العربية ، لذا فلما جاءتهم اللغة العربية بعد فتح الإسلام للجزيرة كانت كأنها نزلت في وطنها وثبتت فيها ثبوت لم يزل له خروج المسلمين في مالطة كما ذهبت اللغة العربية من البلدان الأخرى ، ورغم أن أهل مالطة لغتهم عربية إلا أنه ليس بينهم من يحسن قراءتها أو التكلم بها بطلاقة ولكن بقاء اللغة العربية في مالطة ولو محرفة يدل على مالها في قوة وتمكن عندما استطاعت أن تصل إلى أبنائها الحاليين عبر الأجيال وقد ظهر في مالطة كثيراً في الأدباء والشعراء وأهل الدين ، إذ نجد أن كتب التراجم التي تحدثت عن مؤلفات أهل الاندلس بها أسماء منسوبة إلى أهل مالطة وفي معجم البلدان لياقوت الخوى يذكر نقلا عن السلفي بقوله سمعت

أبا العباس أحمد بن طالوت البلنسى يقول سمعت أبا القاسم بن رمضان المالطى يقول كان القائد يحيى صاحب مالطة قد صنع له أحد المهندسين صورة تعرف بها أوقات النهار .

وكذلك نجد أن أهل مالطة يبدلون فى اللغة العربية الهاء إلى حاء وإن مابقى عندهم من فصيح اللغة العربية قولهم دار نادية ونطقها دارنويه ، ولسكنها أفصح من أقوال أهل الشام دارناطية كما يقول ذلك أحمد فارس الشدياق فى بحثه عن اللغة العربية فى مالطه ، ويقولون للداية القابلة وغيرها من الألفاظ الكثيرة التى ما زالت مستعملة هى ألفاظ يستخدمها أهل المغرب فى حديثهم وبهذا يرجع أن أصل المالطتين من المغاربة وإن اللغة المالطية لغة عربية ولسكن هل هى فرع شامى أم مغربى فيها عبارات من كلتا اللهجتين ولسكن الغالب عاينها اللهجة المغربية .

وقد وجدت كثير من الكتابات العربية على شواهد المقابر فى مالطة فنجد مثلاً شاهد قبر من قبورهم يقول فيه « بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على النبي محمد وعلى آله وسلم تسليماً ، لله العزة والبقاء ، ولحكم فى رسول الله أسوة حسنة ، هذا قبر ميمونة بنت حسان بن على الهذلى بن عرس بن السوس توفيت لرحمة الله عليها يوم الخميس السادس عشر من شهر شعبان السكائن سنة ٥٦٩ هـ وهى تشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له وأن محمد عبده ورسوله .

وهذا شاهد قبر آخر كتبت عليه « كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز » ، وغيرها من شواهد القبور الأخرى التى قام بجمعها المستشرق الإيطالى ، « أبسطورى روس » ، الذى يعد أعلم المستشرقين بأحوال مالطة فى العصر الإسلامى ورغم أن مالطه قد تعاقبت عليها دول متعددة وحاولوا أن يحملوا أهلها على التكلم والتحدث بلغاتهم فلم يتمكنوا من ذلك ، وبقوا محافظين على ما عندهم خلفاً عن خلف ويقال إن الذى تحصل عند أهل مالطه من اللغة العربية يزيد عن عشرة آلاف كلمة ولفظ .

هذا عن أثر اللغة العربية فى مالطة أما عن باقى الآثار الحضارية الإسلامية

الأخرى في الجزيرة فهي لا تعد ولا تحصى فقد ترك المسلمون القلاع والحصون والأبراج والقصور وكل هذه المآثر تنطق بالفن الإسلامي الرائع بالإضافة إلى أن المسلمون قد عملوا على إدخال الحضارة الإسلامية بكل فروعها إلى الجزيرة ونقلوا أهلها من حياة الظلام إلى حياة المدنية والحضارة .

ومن هذا العرض فإنه يمكن القول أن الإسلام ذلك الدين القيم الخالد ولغته العزاء لم يكن مجرد موجة عابرة طافت بالجزيرة ثم انحسرت عنها ولسكن كان حركة حضارية وتقدم وعمران ساهم بها المسلمون في دفع أهالي الجزيرة إلى السير على درب الحضارة الإسلامية .

وبعد أن خرج الإسلام والمسلمين من الجزيرة فإنها لم تخضع على الإطلاق للبد الإسلامي ، ولم يعد للمسلمين بها كيان سياسى بعد ذلك اللهم إلا بعض الهجرات من أهل المغرب وخاصة تونس وليبيا وقد حصلت حكومة ليبيا على إذن من الحكومة المالطية ببناء مركز اسلامى فى العاصمة فاليتا وكذلك مسجد كبير منذ عام ١٩٧٤ م لمكى يؤدى فيه المسلمون شعائرهم الدينية ولكى يعيدوا مجد الإسلام وحضارته إلى تلك الجزيرة ، وإن كل المسلمين يؤدون صلاة الجمعة والأعياد فى مكان مقبرة إسلامية قديمة بالجزيرة .